الفلسفة التحليليّة وأثرها في المعرفة الدينيّة

مصطفى عزيزي*

الخلاصة

من المدارس الفلسفيّة الرئيسة في القرن العشرين «الفلسفة التحليليّة»، وتشتمل على اتّجاهاتٍ فكريّةٍ مختلفةٍ لا يمكن جمعها تحت عنوانٍ جامعٍ؛ فلذا يصعب تعريفها تعريفًا جامعًا مانعًا كما سنرى، ولٰكن رغم ذٰلك حاول بعض روّادها تعريفها تعريفًا إجماليًّا من خلال استعراض بعض الخصائص العامّة فيها، مثل التركيز على «محوريّة اللغة»، و"التحليل المنطقيّ"، و"استخدام المنطق الرياضيّ أو المنطق الرمزيّ"، و"إيضاح المفاهيم المعقّدة ورفع الإبهام منها»، وغيرها من السمات. تحاول الفلسفة التحليليّة في اتّجاهها الغالب أن تحلّل اللغةَ وتبيّن البِنية المنطقيّة الكامنة فيها، وتوضّح مواطن الخطإ والزلّة فيها، من خلال بيان التحليل المنطقيّ للّغة والاستخدام الصحيح لها. وتعتمد الفلسفة التحليليّة من حيث الجذور والمنشأ على المدرسة التجريبيّة الحسّيّة، خاصّةً «الفلسفة الوضعيّة المنطقيّة». وقد حاولنا في هٰذا البحث تبيين الفلسفة التحليليّة، وأهمّ الاتّجاهات المشهورة فيها، ودراسة الآثار الّتي تتركها الفلسفة التحليليّة على المعرفة الدينيّة على مستوى المبادئ، والمنهجيّة، واللوازم، ومن ثمّ نقد تلك المباني بشكلٍ علميٍّ.

***الكلمات المفتاحيّة:** الفلسفة التحليليّة، التحليل المنطقيّ، اللغة الرياضيّة، برتراند راسل، فيتغنشتاين.*

---

(1) مصطفى عزيزي، إيران، أستاذ مساعد في الفلسفة، جامعة المصطفى العالميّة.

Email: m.aziz56@yahoo.com

Analytic philosophy and its influence on religious knowledge

Mustafa Azizi, Assistant Professor in Philosophy, Al-Mustafa International University, Iran. Email: m.aziz56@yahoo.com

Summary

One of the main philosophical schools in the twentieth century is "analytic philosophy," that includes different intellectual trends which cannot be grouped under one comprehensive heading. Therefore, it is difficult to define it comprehensively, as we will see. In spite of that, some of this school's pioneers tried to define it comprehensively by reviewing some of its general characteristics, such as focusing on the "centrality of language", "logical analysis", "the use of mathematical logic or symbolic logic", "clarifying the complex concepts and removing ambiguity from them," besides other features. In its predominant direction, analytic philosophy tries to analyze language and clarify the logical structure inherent in it, besides clarifying its places of faults and slips by explaining the logical analysis of language and the right use of it. In terms of roots and origin, analytic philosophy relies on sensory empirical school, especially "logical positive philosophy". In this study, we have tried to show analytic philosophy, the most famous trends in it, study the effects that analytic philosophy leaves on religious knowledge at the level of principles, methodology, and prerequisites, and then, criticize these foundations in a scientific way.

Keywords: Analytic Philosophy, Logical Analysis, Mathematical Language, Bertrand Russell, Wittgenstein.

تمهيدٌ

للبحث حول "اللغة" جذورٌ تاريخيّة ترجع إلى عصر سقراط وأفلاطون، بحيث نشاهد في رسائل أفلاطون مطالب مهمّةً حول موضوع "اللغة" [افلاطون، مجموعه آثار، ج 3، ص 133]، وهناك رؤيتان أساسيّتان حول مسألة اللغة كانت سائدةً طول تاريخ الفلسفة:

أ- الرؤية الآليّة: بناءً على هٰذه الرؤية تعدّ اللغة أداةً وآلةً للتفهيم والتفاهم ووسيلةً لتبادل الأفكار والرؤى. فالنظر إلى اللغة بهٰذا المعنى ليس نظرًا استقلاليًّا، بل النظر إلى اللغة نظرٌ تَبعَيٌّ وآليٌّ.

ب- الرؤية الاستقلاليّة: بناءً على هٰذه الرؤية ليست اللغة مجرّد وسيلةٍ لنقل المفاهيم وآلةً لبيان ما في الضمير، بل اللغة بالمعنى الاستقلاليّ تعطي الإنسانَ تجربةً جديدةً من العالَم وتحدّد له حدودَ العالَم الواقعيّ، كما يقول أحد الفلاسفة: «إنّ العالَم يُقسَّم كيف ما نريد تقسيمه، لا كما هو في الواقع، وإنّ أداتنا ووسيلتنا لهٰذا التقسيم هي اللغة. إنّ تصوّرنا وما نفهمه من الواقعيّة يدور حول محور المقولات اللفظيّة واللغويّة».

[Searle, John R., The future of philosophy, File Name: royalwrd. Doc, ct. 22]

وتحاول الرؤية الاستقلاليّة أن تحلّل اللغةَ وتبيّن البنية المنطقيّة الكامنة فيها وتوضّح مواطن الخطإ فيها من خلال بيان التحليل المنطقيّ للّغة والاستخدام الصحيح لها.

ونحن في هٰذه المقالة نستعرض الرؤية الاستقلاليّة إلى اللغة ونقوم بنقدها وتقييمها، ونبيّن الآثار والتداعيات الّتي تتركها على المعرفة الدينيّة.

لقد ظهر في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تيّارٌ فكريٌّ جعل "اللغة" موضوعًا مستقلًّا للتأمّلات والتحليلات الفلسفيّة وسلّط الضوء عليها واعتقد أنّ كثيرًا من المشاكل الفلسفيّة تُحَلُّ أو تنحلّ من خلال التوظيف الصحيح للّغة. وقد ذهب كثيرٌ من الفلاسفة إلى أنّ "التحليل" هو كلّ عمل الفلسفة، أو هو الفلسفة بأكملها، وذٰلك بحلّ المشكلات الّتي تنتج عن جهلنا بالواقع نفسه بقدر ما تنتج من الخلط العقليّ وسوء الفهم. [محمد مهران رشوان، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص 154]

وبالرغم من أنّ الهاجس الأصليّ في الفلسفة آنذاك كان الاهتمام بالمسائل المتعلّقة بحقيقة الوجود وكيفيّة الوصول إلى الحقيقة والغاية من الحياة، ومعرفة حقيقة الإنسان ونظام العالَم وما شابه ذٰلك، ولٰكن مع ذٰلك حلّ موضوع "اللغة" محلّ هٰذه الأبحاث الفلسفيّة المشهورة، بحيث أدّى إلى نهضةٍ علميّةٍ جديدةٍ في بدايات القرن العشرين تحت عنوان "الفلسفة التحليليّة" (analytic philosophy).

كما يمكن أن ندرس الفلسفة التحليليّة من منظورين مختلفين: أ- المنظور التاريخيّ ب- المنظور المنهجيّ.

وبنـاءً على الرؤيـة التاريخيّـة يمكـن تقسـيم الفلسـفة التحليليّـة إلى مرحلتـين: المرحلـة الكلاسـيكيّة والمرحلـة المعـاصرة؛ وتبـدأ المرحلـة الكلاسـيكيّة للفلسـفة التحليليّـة مـن أواخـر القـرن التاسـع عـشر، حـين ألّـف "جوتلـوب فريجـه" (Gottlob Frege) كتابـه الّذي يحمـل عنـوان "الكتابـة المفاهيميـة" (Begriffsschrift)ـ وهـو أهـمّ كتـابٍ أُلِّـفَ حـول المنطـق الحديـث أو المنطـق الريـاضيّ ـ إلى زمـان فيتغنشـتاين، وبـدأت المرحلـة المعـاصرة للفلسـفة التحليليّـة مـن فيتغنشـتاين حـين ألّـف كتابـه "تحقيقـاتٌ فلسـفيّةٌ" (Philosophical Investigations)، وقـد أثّـرت آراء فيتغنشـتاين ونظريّاتـه في مـن بعـده مـن الفلاسـفة التحليليّـين إلى الآن.

أمّـا بالنسـبة إلى الرؤيـة المنهجيّـة للفلسـفة التحليليّـة فيمكـن تقسـيمها إلى اتّجاهـين أساسـيّين:

أـ الاتّجاه الّذي يدرس علاقة "اللغة والواقع".

بـ الاتّجاه الّذي يدرس علاقة "اللغة والذهن".

وقـد اهتـمّ الاتّجـاه الأوّل بالمنطـق الريـاضيّ وفلسـفة العلـم، ورأى أنّ اللغـة نافـذةٌ إلى الواقـع، فـلا يمكـن معرفـة الواقـع إلّا مـن خـلال تحليـل اللغـة والبِنيـة المنطقيّـة الكامنـة وراءهـا. ومـن روّاد هٰـذا الاتّجـاه هـو "جوتلـوب فريجـه" (Gottlob Frege)، "بيرتراند راسـل" (Bertrand Russell)، "جـورج إدوارد مـور" (George Edward Moore)، "ويـلارد فـان كوايـن" (Willard Van Quine)، "رودولـف كارنـاب" (Rudolf Carnap) ، وفيتغنشـتاين .

ويركّز الاتّجاه الثاني على بيان العلاقة بين اللغة والمعنى والدلالة، وكيفيّة استخدام اللغة للحصول على المعنى وعلاقة المعنى بمقاصد المتكلّم. ويُعدّ "فيتغنشتاين في كتاباته المتأخّرة" و"جون سورل" (John) Searle، و"جون أستين" (John Langshaw Austin)، و"بيتر ستراوسون" (Peter Strawson) و"بول جرايس" (Paul Grice) من أهمّ روّاد هٰذا الاتجاه. ما يهمّنا في هٰذه المقالة هو البحث عن المنظور المنهجيّ بكلا اتّجاهيه، ثمّ دراسة آثاره ولوازمه المترتّبة على المعرفة الدينيّة.

ولا يخفى أنّ الفلسفة التحليليّة قاعدتها الّتي انطلقت منها هي ألمانيا، والكثير من روّاد الفلسفة التحليليّة هم من الألمان، ولغتهم الأصليّة هي اللغة الألمانيّة، وقد استخدم الفلاسفة التحليليّون الرؤية التحليليّة أو المنهج التحليليّ في تبيين كثيرٍ من المسائل في شتّى الحقول المعرفيّة، وفتحوا آفاقًا جديدةً من العلوم والمعارف في ذٰلك الحقل المعرفيّ بفضل الطاقات الكامنة والقدرات الموجودة في الفلسفة التحليليّة. وسنحاول في هٰذا البحث الإجابة على الأسئلة التالية:

ما المقصود من "الفلسفة التحليليّة"؟ ما معنى "التحليل" في الفلسفة التحليليّة؟ هل هناك قدرٌ جامعٌ يغطّي الاتّجاهات المختلفة في الفلسفة التحليليّة؟ مَن هم أهمّ الروّاد في الفلسفة التحليليّة وما هي زبدة أفكارهم؟ ما هي الأسس والمناشئ لتغذية الفلسفة التحليليّة؟ لماذا تهتمّ الفلسفة التحليليّة بـ"اللغة" والتحليل اللغويّ؟ ما هي أهمّ

النقـود والإشـكاليّات الـواردة على الفلسـفة التحليليّـة؟ هل هنـاك أبحاثٌ في الـتراث الإسـلاميّ حـول التحليـل اللغـويّ أو مـا يتعلّـق بموضـوع "المعـنى والدلالـة"؟ مـا هي جهـات الاشـتراك بـين مـا طُـرِح في الـتراث الإسـلاميّ وبـين النظريّـات المطروحـة في الفلسـفة التحليليّـة؟ مـا هي الآثـار والنتائج الّـتي تتركهـا الفلسـفة التحليليّـة على «المعرفـة الدينيّـة»؟

1 ـ التعريف بالمفردات

قبـل الخـوض في صلـب الموضـوع يبنـغي توضيـح بعـض المفاهيـم الأساسـيّة في عنـوان المقالـة؛ لـكي لا نقـع في المغالطـات اللفظيّـة والمعنويّـة:

أ ـ "التحليل"

مفـردة التحليـل في اللغـة مشـتقّةٌ مـن مـادّة «حـلّ يحـلّ» بمعـنى «فَتْـح الـشيء، لا يشـذُّ عنـه شيءٌ، كمـا يقـال حلَلْـتُ العُقـدةَ أحُلُّهـا حَـلًّا. ومـن هٰـذا البـاب حَلَلْـتُ اليمـينَ أُحَلِّلُهـا تحليـلًا» [أحمـد بـن فـارس، معجـم مقاييـس اللغـة، ج 2، ص 20]. فتحليـل الـشيء بمعـنى فتـح عُقَـده ورفـع إشـكاليّته وفـكّ المركّـب إلى عنـاصره البسـيطة الّـتي يتكـوّن منهـا.

وأمّـا في الاصطـلاح فهنـاك أربعـة معـانٍ شـائعةٍ لمفـردة «التحليـل» ذكرهـا بعـض الباحثـين ونسـتعرضها فيمـا يـلي:

1ـ المعـنى الأول لمفـردة «التحليـل» مأخـوذٌ على نحـو الاسـتعارة مـن

«علـم التشريـح» الّذي يـشرّح الجثّـة ويجزّئهـا ويحلّلهـا إلى أجـزاءٍ صغـيرةٍ دقيقـةٍ بسـيطةٍ. والفيلسـوف عندمـا يواجـه مفهومًـا مركّبًـا معقّـدًا مبهمًـا يحـاول أن يحلّلـه إلى أجـزاءٍ بسـيطةٍ ليتعـرّف على بنيتـه المنطقيّـة ومفاهيمـه الأساسـيّة الكامنـة فيـه. فالتحليـل بهٰـذا المعـنى هـو فـكّ المفاهيـم والعبـارات المركّبـة وتحليلهـا إلى الأجـزاء والعنـاصر البسـيطة والمبدئيّـة. والتحليـل بهٰـذا المعـنى أشـبه بمذهـب "الذرّيّـة المنطقيّـة" (Logical atomism) في الفلسـفة التحليليّـة.

2 ـ المعـنى الثـاني مـن "التحليـل" هـو التحليـل الاخـتزاليّ (Reductionism)، بمعـنى المنهـج الّذي يحـوّل المسـائل والقضايـا النظريّـة المعقّـدة إلى القضايـا المبدئيّـة البدهيّـة، أو إرجـاع القضايـا النظريّـة إلى الأصـول الموضوعيّـة البدهيّـة. كمـا يسـتخدم هٰـذا المنهـج في إثبـات القضايـا الهندسـيّة. والمنهـج التحليـليّ لسـقراط هـو هٰـذا المنهـج الّذي يحـاول أن يُرجـع القضايـا والمعـارف النظريّـة المعقّـدة إلى القضايـا الأساسـيّة البدهيّـة.

3 ـ هنـاك معـنًى ثالـثٌ للتحليـل وهـو تحويـل الجمـلات وإرجاعهـا إلى الصيـاغات المنطقيّـة، فالتحليـل هـو أن يصـوغ الفيلسـوف الجمـلات في قوالـب وأشـكالٍ منطقيّـةٍ. والجديـر بالذكـر أنّ «جوتلـوب فريجـه» و«بيرتراند راسـل» وأتباعهمـا رأوا أنّ المنطـق الأرسـطيّ قـاصرٌ وعاجـزٌ عـن بيـان البنيـة المنطقيّـة الموجـودة في العبـارات والجمـلات، فأبدعـوا المنطـق الرمـزيّ أو المنطـق الريـاضيّ واسـتخدموا الرمـوز الرياضيّـة والعلامـات الصوريّـة للتعبـير عـن البنيـة المنطقيّـة الكامنـة وراء الجمـلات والعبـارات.

4 ـ هناك معنًى رابعٌ لمصطلح التحليل وهو استخراج الافتراضات المسبقة (presuppositions) والقبليّات المعرفيّة الّتي تبتني عليها نظريّةٌ خاصّةٌ ما. فالتعمّق والتدبّر في القضايا والمعارف لاكتشاف المفروضات والافتراضات المسبقة واستخراجها فيها هو معنًى خاصٌّ للتحليل. ولا يخفى أنّ المعنى الرابع للتحليل يختلف عن المعنى الثاني؛ لأنّ الافتراضات المسبقة أعمّ من البدهيّات الّتي تعود إليها القضايا النظريّة. [انظر: محمد مهران رشوان، الفلسفة الحديثة المعاصرة، ص 184و181؛ راسل، بحثٌ في المعنى والصدق، ص 483]

المقصود من مفردة "التحليل" في الفلسفة التحليليّة في أغلب الأحيان هو المعنى الثالث الّذي يعتمد عليه فريجه وراسل وفيتغنشتاين في كتاباته المتأخّرة. ولكن لا يجوز اختزال مفردة التحليل في المعنى الثالث فقط، فلا ينبغي إنكار سائر المعاني المصطلحة للتحليل في الفلسفة التحليليّة. بعبارةٍ أخرى: «إنّ التحليل إمّا أن يكون تحليلًا للمفاهيم والتصوّرات كما عند سقراط وأفلاطون في محاوراته وأرسطو في تحليلاته الأخلاقيّة ... أو تحليلًا للوجود لبيان مكوّناته كما عند ديكارت ولوك وهيوم، أو تحليلًا للإطارات الّتي تصبّ فيها المعرفة وهي "اللغة" كما عند مور ورسل وفتجنشتين وكارناب ورايل وستراوسون وأوستن ووزدم» [محمد مهران رشوان، الفلسفة الحديثة المعاصرة، ص 154].

ب ـ "المعرفة الدينيّة"

المقصود من المعرفة الدينيّة هو العلوم الّتي يحصل عليها العلماء من خلال قراءتهم وفهمهم للدين والتعاليم الدينيّة، وفق المناهج التحقيقيّة، والعلم بها من طريق الرجوع إلى العقل والمصادر الدينيّة. [خسروبناه، دراسةٌ تحليليّةٌ للمعرفة الدينيّة عند سروش، ص 132 و136]

فالمعرفة الدينيّة تشتمل على الرؤية الكونيّة الدينيّة والأيديولوجيّة المعتمدة عليها. على سبيل المثال إذا قسّمنا التعاليم الدينيّة إلى: الاعتقادات والأخلاق والأحكام الشرعيّة الفرديّة والاجتماعيّة، فالمعرفة الّتي يحصل عليها علماء الدين من هٰذه المجالات الثلاثة هي المعرفة الدينيّة. فالمعرفة الدينيّة تتمثّل في الكتب الاعتقاديّة والأخلاقيّة والفقهيّة، وقد عرّف بعض المفكّرين المعرفة الدينيّة بأنّها: «المعارف الحاصلة من فهم الكتاب والسنّة وسيرة الأئمّة، وفهم أصول ومباني وأركان الدين وفروعه، فالمعرفة الدينيّة هي المعارف المستنبطة من الكتاب والسنّة» [المصدر السابق، ص 132].

2 ـ تعريف الفلسفة التحليليّة (Analytic Philosophy)

من الصعب تعريف الفلسفة التحليليّة تعريفًا جامعًا مانعًا؛ لأنّها مدرسةٌ فكريّةٌ تحتوي على مجموعةٍ متنوّعةٍ من الاتّجاهات المعرفيّة والمنهجيّة والظاهراتيّة وغيرها. وقد طرحت مباحث عديدةٌ من قبل المفكّرين حول تعريف الفلسفة التحليليّة وجذورها

ومناشئها ومؤسّسيها، ولٰكن مع ذٰلك يعتقد البعض بأنّه لا جامع مشتركًا بين الاتجاهات المتشتّتة التحليليّة إلّا من باب التشابه الأسريّ (family resemblance) الّذي يرفض التعريف الذاتيّ للأشياء، ويركّز على التشابهات الظاهريّة[1].

[Dummet, M, Origins of Analytical Philosophy, P. 4]

ومن يدرس تاريخ الفلسفة يرى أنّ الفلسفة التحليليّة منذ ولادتها إلى العصر الراهن قد تطوّرت وتحوّلت من اتّجاهٍ ونزعةٍ إلى اتّجاهٍ آخر ونزعةٍ أخرى، على سبيل المثال، هناك اتّجاهٌ في الفلسفة التحليليّة يركّز على "التحليل اللغويّ" وإصلاح اللغة العرفيّة وتجريدها من الشوائب والاعوجاج والخلل؛ بناءً على هٰذا الاتّجاه تقوم الفلسفة التحليليّة بـ"توضيح اللغة" وإزالة الخلط الّذي ينشأ عن إساءة إستخدام الإطارات الّتي تصاغ فيها أفكارنا أعني اللغة.

[انظر: محمد مهران رشوان، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص 159]

هناك اتّجاهٌ آخر يرى أنّ دور الفلسفة التحليليّة هو دراسة

(1) تعريف التشابه الأسريّ: طرح فيتغنشتاين نظريّة التشابه الأسريّ في مقابل نظريّة التعريف الماهويّ لأرسطو، في الحقيقة لقد تصدّى فيتغنشتاين لنظرية «الماهويّة" (essentialism) الّتي تركّز على أنّ للأشياء ذاتيّاتٍ ومقوّماتٍ أو أجناسًا وفصولًا. بناءً على نظريّة التشابه الأسريّ الخصائص والصفات المشتركة بين الأشياء هي من سنخ الخصائص والسمات المشتركة بين أعضاء الأسرة. عندما نستخدم لفظًا كلّيًا لينطبق على مصاديق متعدّدةٍ نتصوّر أنّ هناك جهةً مشتركةً بين هٰذه المصاديق والأفراد، وأنّ ذٰلك اللفظ الكلّيّ وُضع لخاصّيّةٍ (property) مشتركةٍ بين أفراده. ولٰكن ليس الأمر كذٰلك، بل هناك بعض الخصائص والصفات المتشابهة الّتي لا تشترك في الجميع، بل في بعض المصاديق.

المسائل المتعلّقة بفلسفة العقل وبيان حقيقة الذهن والحالات الذهنيّة وعلاقة الذهن بالبدن. هناك اتّجاهٌ آخر يعتقد بأنّ الفلسفة التحليليّة أشبه بـ"فلسفة العلم" الّتي تبيّن المناهج المستخدمة في العلوم وطُرق إثبات مدّعياتها. الاتّجاه الآخر يرى أنّ المهمّة الأصليّة للفلسفة التحليليّة هي المسائل المتعلقة بـ"نظرية المعرفة" (Epistemology) كمسألة الحجّة والتبرير (argument and justification)، وغيرها من النزعات الفكريّة المطروحة في الفلسفة التحليليّة. وسنستعرض نماذج من المسائل المختلفة الّتي يُبحث عنها في الفلسفة التحليليّة بالتفصيل؛ ليتبيّن مدى تنوّع المسائل المطروحة فيها. رغم أنّ تعريف الفلسفة التحليليّة أمرٌ في غاية الصعوبة، ولٰكن نحاول أن نقدّم تعريفًا إجماليًّا من خلال دراسة بعض السمات والميزات المتوفّرة في هٰذه المدرسة رغم تغاير اتّجاهاتها، ثم نقترح تعريفًا مختصرًا منها:

3 ـ الخصائص العامّة للفلسفة التحليليّة

قبل استعراض الخصائص العامّة في المدرسة التحليليّة ينبغي أن نشير إلى نقطةٍ مهمّةٍ هي: أنّ هناك خلافًا ونزاعًا بين الفلاسفة حول وجود جامعٍ يجمع ويوحّد بين الاتجاهات والنزعات المختلفة في مدرسة الفلسفة التحليليّة، فهل هناك عاملٌ يجمع بين شتات الآراء والنظريّات والاتّجاهات المختلفة في الفلسفة التحليليّة؟ هناك من

يعتقد بأن لا جامع يجمع بينها، وأنّ التشابه فيها أشبه بـ "التشابه الأسريّ" (family resemblance). ولٰكن حاول الفلاسفة التحليليّون أن يجدوا جامعًا مشتركًا بين الاتّجاهات والنزعات المتشتّتة في الفلسفة التحليليّة، فهناك ثلاث نظريّاتٍ حول هٰذا الجامع:

أ- أنّ الافتراضات المسبقة والتعاليم المشتركة هي الجامع لشتات الآراء المتنوعة.

ب- أنّ الجامع والموحّد لشتات الاتّجاهات في الفلسفة التحليليّة هو المنهج التحليليّ المشترك بين جميعها.

ج- المسائل المشتركة والأمور ذات الاهتمام المشترك هو الجامع للاتّجاهات التحليليّة. ولٰكن يمكن الجمع بين هٰذه النظريّات ونحكم بتجميع هٰذه النظريّات الثلاث في الخصائص التالية:

1- أنّ مناشئ الفلسفة التحليليّة وجذورها عبارةٌ عن مجموعةٍ متكوّنةٍ من المدرسة التجريبيّة الحسّيّة، وأفكارٍ كانط وآرائه المعرفيّة، ونظريّات جوتلوب فريجه حول المنطق الرياضيّ. يمكن أن ندّعي أنّ الطابع العامّ في الفلسفة التحليليّة هو الطابع التجريبيّ الحسّيّ الّذي يركّز على المنهج التجريبيّ، ويرى أنّ المعطيات الحسّيّة هي المعرفة العينيّة الحقيقيّة. تُمثّل هٰذا المنهج التجريبيّ المدرسةُ الوضعيّة الّتي ترى أنّ القضايا ما دامت لا تخضع لمبدإ قابليّة التحقّق التجريبيّ (principle of verification) فهي فاقدةٌ للمعنى والمدلول.

[Paul, Edwards, The Encyclopedia of Philosophy, Volumes 5 and 6, p. 53]

2ـ أنّ الميزان والمعيار في تسمية المدرسة تحليليّةً ـ رغم وجود الاتّجاهات المتعدّدة فيها ـ هو الالتزام والتقيّد بالتحليل؛ فلذا يستخدم الفلاسفة التحليليّون لتوصيف المنهج التحليليّ مصطلحَ "التحليل المنطقيّ" (Logical analysis)، و"التحليل المفاهيميّ" (Conceptual analysis).

3ـ يعتقد الفيلسوف التحليليّ "مايكل دوميت" (Michael Dummett) بأنّ «ما تمتاز به الفلسفة التحليليّة عن سائر المدارس والاتّجاهات الفلسفيّة هو التركيز على أنّه من خلال التفسير الفلسفيّ للّغة، يمكن الحصول على التفسير الفلسفيّ للأفكار والآراء».

[Michael Dummett, Origins of Analytical Philosophy, p.4]

لذا يعتقد أغلب المنتقدين للفلسفة التحليليّة أنّ وظيفتها الأصليّة هي "تحليل اللغة" وسبر غورها لاستخراج البِنية المنطقيّة المكنونة فيها، فالفلسفة التحليليّة تساوي "فلسفة تحليل اللغة".

والميزة الرئيسة للفلسفة التحليليّة هي أنّها تركّز مسائلها على كيفيّة انعكاس الأفكار ودراستها في مرآة اللغة؛ فلذا ترى المدرسة التحليليّة أنّ البحث عن "المعنى" (meaning) والنهج السِّيمَنطِيقَيّ (semantic approach) هو المفتاح لفكّ الرموز في المسائل الفلسفيّة.

4ـ يعتقد مايكل دوميت بأنّ المواصفات والخصائص المشتركة لجميع المدارس التحليليّة عبارةٌ عن:

أ ـ أنّ هدف الفلسفة هو تحليل بِنية الأفكار وصياغاتها.

ب ـ التمييز بين دراسة الأفكار وبين دراسة العمليّة النفسيّة للتفكير.

جـ ـ المنهج الصحيح الوحيد لتحليل الأفكار هو منهج تحليل اللغة. [Ibid, p.458]

5ـ إيضاح الأفكار وتبيين المفاهيم وإزالة الإبهام والإيهام يعدّ من الأهداف الرئيسة في الفلسفة التحليليّة. هٰذا الوضوح (Clarity) ينفع ويفيد في المستويين العمليّ والنظريّ: على المستوى العملي يسهّل وضوحُ الكلام عمليّةَ التفهيم والتفاهم، وعلى المستوى النظريّ يساعدنا على الفهم الدقيق للمعنى ومدلول الكلام، ويعيننا على الحصول على حلٍّ مناسبٍ للمسألة وكشف الأخطاء المحتملة في الكلام.

6ـ يعتقد البعض أنّ الفلسفة التحليليّة كمثلّثٍ ذي ثلاثة أضلاعٍ: "الذهن، اللغة، العالَم". فهناك علاقةٌ وثيقةٌ بين اللغة والواقع، بحيث إنّ النافذة الوحيدة لكشف الواقع وتحديد نطاقه هي اللغة[1].

7ـ إحلال المنطق الرمزيّ (Symbolic Logic) أو الرياضيّ محلّ المنطق الأرسطيّ، يرى أتباع المدرسة التحليليّة خاصّةً راسل وفريجه بأن اللغة الرياضيّة لغةٌ دقيقةٌ موجزةٌ ومنطقيّةٌ يمكن استخدامها في الحسابات الدقيقة وتبيين الظواهر المعقّدة الغامضة وبيان العلاقات

(1) لأجل التعرّف على علاقة الفلسفة باللغة راجع المقدّمة الرائعة لكتاب:

Colin, Lyas, Philosophy and Linguistics, pp. 1235-.

والروابط بين المفاهيم والتصوّرات؛ لأنّها أكثر نظمًا وإتقانًا وأقلّ خطأً، وتكون القواعد الّتي تقوم عليه الرياضيّات أكثر وضوحًا واكتمالًا وتحديدًا من القواعد المنطقيّة القديمة، فيفضّل توظيفها لتحليل المفاهيم والمتون وتنسيق المقولات. هٰذا بخلاف المنطق الأرسطيّ؛ فإنّه قاصرٌ وعاجزٌ عن بيان البنية المنطقيّة أو الصياغة المنطقيّة الكامنة وراء العبارات والجمل. لقد تأثّر فريجه وراسل وفيتغنشتاين بمباحث الرياضيّات الّتي لعبت دورًا مهمًّا في تكوين الفلسفة التحليليّة. [محمد مهران رشوان، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص 160]

8ـ بناءً على الفلسفة التحليليّة أنّ كثيرًا من المسائل والمشاكل الفلسفيّة نابعةٌ من الانحراف والخلل الكامنة في اللغة، فإذا كُشف اللثام عن إبهام اللغة وغموض الاستخدامات اللغويّة وتجرّدت التعابير اللغويّة من شائبة الالتباسات والخلط والزيف، فسوف تنحلّ تلك المسائل الفلسفيّة. فيجب التخلّص من كلّ ما يشوب التعبيرات اللغويّة من التباساتٍ أو غموضٍ أو خلطٍ وزيفٍ لبعض الأمور والحقائق. وهٰذا لا يتحقّق إلّا من خلال بيان القضايا باللغة الرياضيّة الرمزيّة. فاللغة المنطقيّة الرمزيّة هي الطريق الوحيد لإصلاح اللغة ورفع عيوبها والخلل الكامن فيها. فإذا لم يتمّ إصلاح اللغة فلا طريق أمامنا لكشف الواقع؛ لأنّ اللغة هي المرآة للواقع وهي النافذة الوحيدة للوصول إليه. يعتقد فيتغنشتاين بأنّ الإبهامات والخلل الموجود في اللغة العرفيّة يسبّب سوء الفهم، فالمهمّة الرئيسة

للفيلسوف هي رفع هٰذه الإبهامات والموانع الّتي تتحقّق من خلال استخدام اللغة، ويرى أنّ المسائل الفلسفيّة هي من قبيل حل لغزٍ (كجدول الكلمات المتقاطعة)، فوظيفة الفيلسوف هي حلّ هٰذا اللغز وإزالة هٰذه الإبهامات. فيجب التوصيف الدقيق لنشاطات اللغة العرفيّة واستبدال العبارات غير الدقيقة بالعبارات الدقيقة الصريحة. [المصدر السابق، ص 171]

بناءً على هٰذه السمات والميزات العامّة يمكن تقديم تعريفٍ إجماليٍّ للفلسفة التحليليّة وهو: أنّ الفلسفة التحليليّة من حيث المبادئ والأسس المعرفيّة مدرسةٌ حسّيّةٌ تجريبيّةٌ تركّز على المنهج التجريبيّ والمعطيات الحسّيّة، ومن جهة المنهجيّة تعتمد على "التحليل المنطقيّ" (Logical analysis)، ومن جهة الموضوع ترتكز على "اللغة" وعلاقتها بالذهن والواقع، ومن جهة الغاية تهدف إلى كشف الواقع والحقيقة من خلال تحليل اللغة وتخليصها من الغموض والإبهام والالتباس وكشف البنية المنطقيّة الكامنة فيها.

4 ـ المسائل الرئيسة في الفلسفة التحليليّة

هناك اقتراحٌ آخر للتعرّف على حقيقة الفلسفة التحليليّة وهو دراسة المسائل والقضايا المختلفة المطروحة فيها؛ فلذا نسلّط الضوء عليها ونستعرضها في هٰذا المجال بصورةٍ إجماليّةٍ:

أ ـ تحليل الأفكار والحقائق الذهنيّة والبحث عن كيفيّة استخدام

اللغـة ودورهـا في بيـان الأفـكار والمفاهيم يعـدّ من المسـائل الرئيسـة الملفتة لنظـر الفلاسـفة التحليليّـين. إذن "الذهـن" (Mind) و"اللغـة" (Language) وبيـان العلاقـة بينهمـا مـن أهـمّ المسـائل في الفلسـفة التحليليّـة.

ب ـ مسـألة "الصـدق" (Truth) تحظـى بأهمّيّـةٍ بالغـةٍ في الفلسـفة التحليليّـة. هـل الصـدق يعـدّ مـن خـواصّ القضايـا أو من خـواصّ الأمر اللغـويّ وآثـار اللغـة؟ أو أنّ الصـدق أمـرٌ مسـتقلٌّ عـن الاسـتعمالات اللغويّـة؟ مـا علاقـة الصـدق (الحقيقـة) والواقعيّـة؟ مـا معيـار الصـدق؟ هـل هنـاك طُـرقٌ معيّنـةٌ للحصـول على الصـدق؟

ج ـ مـن المناهـل المهمـة للفلسـفة التحليليّـة وجـود بعـض الأفـكار المتناقضـة (paradoxes) والنتائـج المتنافيـة الّـتي تشـبه الألغـاز بحيـث تتكافـأ أطرافهـا ـ بحسـب الظاهـر ـ في الاعتبـار والصـدق. كمـن يقـول: "كلّ خـبرٍ كاذبٌ"، لا يمكـن أن تبـقى هٰـذه القضيّـة على شـموليّتها وكلّيّتهـا؛ لأنّ نفـس هٰـذه القضيّـة إمّـا صادقـةٌ وإمّـا كاذبـةٌ، وفي كلا الفرضـين نواجـه مشـكلةً؛ لأنهـا إن كانـت صادقـةً فـهي تُبطِـل عموميَّتهـا وشـموليَّتها، وإن كانـت كاذبـةً فـهي تسـتلزم صـدق الأخبـار الّـتي تصـدر مـن المخـبِر، وهٰذا تناقـضٌ واضـحٌ في هٰـذه القضيّـة. [مطهـرى، مجموعـه آثـار، ج13، ص 589، و ج9، ص 609]

ولقـد اهتـمّ الفلاسـفة التحليليّـون بالإجابـة والـردّ على هٰـذه الألغـاز والشـبهات، وذكـروا آراءً بديعـةً حـول قيمـة الصـدق ومسـألة الزمـان والاحتمـالات ومـا شـابه ذٰلـك. فوجـود هٰـذه التهافتـات والألغـاز يعـدّ مـن الدوافـع المهمـة للإقبـال على الفلسـفة التحليليّـة، ومـن الدوافـع

أيضًا اشتياق بعض المفكّرين لحلّ الألغاز الفكريّة وفكّها من خلال تحليل بعض المفاهيم المعقدة والملتبسة. ولٰكن مسألة الصدق ومعياره هو الهاجس المهمّ للفلاسفة التحليليّين، وهي تختلف عن فكّ الألغاز والشبهات الفكريّة الفلسفيّة.

د ـ من المسائل المهمّة في الفلسفة التحليليّة المسائل المتعلّقة بفلسفة العقل أو فلسفة الذهن (philosophy of mind) لقد أثار هٰذا الموضوع مسائل كثيرةً حول العلاقة بين الذهن والبدن، وحقيقة البِنية الذهنيّة وبيان الحالات الذهنيّة، وبيان الهويّة الشخصيّة (personal identity)، فما هو معيار الهويّة الشخصيّة في الأفراد؟ وهل يمكن تحويل واختزال الحالات الذهنيّة في الحالات البدنيّة؟

يرى هٰذا الاتّجاه في الفلسفة التحليليّة ـ تبعًا لنظريّة اللغة الفطريّة لنعوم تشومسكي (Noam Chomsky) ونظريّة الذكاء الاصطناعيّ (Artificial Intelligence) ـ بأنّ الواقعيّة الكامنة وراء الظواهر اللغويّة ليست من سنخ الهويّات الانتزاعيّة، بل هي من سنخ الحقائق والواقعيّات الذهنيّة، مع ذٰلك أنّ الظواهر اللغويّة ترتبط بالواقعيّة العصبيّة البيولوجيّة (neurobiological reality) الّتي لها ما بإزاءٍ في جزءٍ عصبيٍّ من الدماغ. يرى هٰذا الاتّجاه في الفلسفة التحليليّة بأنّه يمكن معرفة البِنية الذهنيّة وكيفيّة نشاطات الذهن من خلال البحوث اللغويّة.

[P. French, et, al. Medwest Studies in philosophy X: studies in the philosophy of mind]

هـ ـ المسائل المتعلقة بـ"المعنى" (meaning)؛ على سبيل المثال: هل معنى الكلمة تابعٌ لكيفيّة استعمالاتها؟ هل الأدلّة المعتمدة لتوضيح معنى الكلمة تبتني على الصياغة البلاغيّة للكلام، أو على البِنية المنطقيّة فيه؟ ما اللوازم والنتائج المترتّبة على معنى الكلام ودلالته؟ ما الافتراضات المسبقة الّتي يعتمد عليها الكلام؟ يمكن أن نقول إنّ الدراسة التحليليّة لاستعمالات اللغة وكشف معانيها هي المسألة الرئيسة في الفلسفة التحليليّة.

و ـ المسألة المطروحة الأخرى في الفلسفة التحليليّة هي ما يتعلّق بـ "المنطق" والمبادئ المنطقيّة للقياس، وعلاقة "المنطق" و"اللغة"، ومنطق الموجّهات، والدعم الاستقرائيّ للنظريّات، وطرح أسئلةٍ مهمّةٍ في هٰذا المجال مثل: هل هناك كلماتٌ بسيطةٌ حاصلة من التحليل المنطقيّ للكلمات؟ هل الصدق المنطقيّ تابعٌ للاعتبارات اللغويّة؟ هل هناك لكلّ لغةٍ خاصّةٍ أو استعمالٍ لغويٍّ خاصٍّ منطقٌ خاصٌّ متميّزٌ؟ إذن البحث عن «فلسفة المنطق» من المسائل المهمّة في الفلسفة التحليليّة.

ز ـ ما يتعلّق بـ«فلسفة الرياضيّات»؛ مثل: ما حقيقة الإثبات الرياضيّ؟ وما محدوديّتها؟ ما الحقائق الرياضيّة من الناحية الوجوديّة (Ontology)؟ هل يمكن استخدام الحلول الرياضيّة لكشف الواقعيّات العينيّة؟ وما البنية المنطقيّة الكامنة في اللغة الرياضيّة وغيرها؟

ح ـ ما يتعلّق بالعلوم الطبيعيّة والاجتماعيّة والإنسانيّة، ما

الطـرق والمناهـج المسـتخدمة في هٰـذه العلـوم الخاصّـة؟ مـا دور المفـردات التخصّصيّـة في هٰـذه الاختصاصـات؟ مـا علاقـة العلـوم المختلفـة بعضها ببعـضٍ؟ هـل يمكـن اخـتزال العلـوم المختلفـة إلى علـمٍ واحـدٍ؟ وهـل هٰـذا الأمـر مطلـوبٌ أم لا؟ وهٰـذا امتـدادٌ منهـجيٌّ للفلسـفة التحليليّـة في العلـوم الطبيعيّـة والإنسـانيّة.

ط ـ مـن المسـائل المطروحـة في الفلسـفة التحليليّـة مـا يتعلّـق باتّخـاذ القـرارات وإنجـاز الأعمـال في المجـالات الثقافيّـة والسياسـيّة والاجتماعيّـة والاقتصاديّـة والأخلاقيّـة والتربويّـة، مثـل: مـا حقيقـة العدالـة؟ هـل حـبّ أبنـاء الجنـس البـشريّ أمـرٌ معقـولٌ؟ كيـف يمكـن حـلّ التعـارض بـين النظريّـة البراغماتيّـة (Pragmatism) وبـين نظريّـة العقـد الاجتمـاعي (Social contract) في مجـال العدالـة الاجتماعيّـة؟ كيـف يمكـن الجمـع بـين نظريّـة البراغماتيّـة النفعيّـة، وبـين نظريّـة أصالـة التكليـف والوظيفـة في مجـال فلسـفة الأخـلاق؟ مـا العامـل الّذي يعطـي القاعـدة طابعًـا قانونيًّـا دسـتوريًّا؟ وغيرهـا مـن القضايـا المتعلقـة بالأمور الاعتباريّـة. وهٰـذا هـو امتـداد الفلسـفة التحليليّـة في "فلسـفة الأخـلاق" والعلـوم الاعتباريّـة.

ي ـ مـا يتعلّـق بـ "فلسـفة الديـن" مثل: هـل الاعتقاد بوجود مشـيّة الله أو وقـوع المعجـزات، أو خلـود النفـس، أو الثـواب والعقـاب الأخـرويّ، والتجربـة الدينيّـة ومـا شـابه ذٰلـك، أمـرٌ مقبولٌ عنـد العقـل أم لا؟

ك ـ مـا يتعلّـق بـ "فلسـفة الفـنّ" وعلـم الجمال، مـا الدليـل على تفضيل

أثـرٍ فـنّيٍّ على آخـر؟ مـا معيـار الجمـال؟ هـل هنـاك علاقـة بـين المعرفـة والجمـال؟ هـل الجمـال مطلـقٌ أو نسـبيٌّ؟ وغيرهـا مـن المسـائل المتعلّقـة بفلسـفة الفـنّ. [پایا، مقاله "فلسفه تحلیلی چیست؟"، ص 45، مجله نامه مفید، شماره 15]

ل ـ مـا يتعلّـق بـ "فلسـفة العلـم": هنـاك حـوارات بـين "كارنـاب" و"بوبـر" (Karl Raimund Popper) حـول «علاقـة المعطيـات التجريبيّـة والنظريّـات العلميّـة». فقـد تباحـث الطرفـان حـول هٰـذا السـؤال: هـل على علمـاء التجربـة أن يبحثـوا عـن أقـلّ الفرضيّـات احتمـالًا ومطابقـةً للمعايـير التجريبيّـة، أو يجـب عليهـم أن يحصلـوا على فرضيّـاتٍ أكـثر احتمـالًا ومطابقـةً للموازيـن التجريبيّـة ومؤيَّـدةً بالشـواهد التجريبيّـة؟ يعتقـد بوبـر بأنّـه لا علاقـة بين فلسـفة العلـم والدراسـات اللغويّـة، بينما يـرى كارنـاب أنّ فلسـفة العلـم إعادة بنـاءٍ منطـقيٍّ للغـة العلـم. يـرى بوبر أنّ الغـرض مـن المنهـج العلـميّ هـو اقـتراح الفرضيّـات أو إبطالهـا على أسـاس منهـج الاسـتنتاج البرهـانيّ، ولٰكـن يعتقـد كارنـاب بـأنّ المنهـج الاسـتقرائيّ هـو المسـتخدم لإثبـات أو إبطـال الفرضيّـات العلميّـة.

[P. A. Schilpp (ed), The philosophy of Rudolf Carnap, p. 213 and 995]

مـن خـلال دراسـة المسـائل المطروحـة في الفلسـفة التحليليّـة تتّضـح دائرتهـا ونطاقهـا الشـامل لكثـيرٍ مـن الحقـول المعرفيّـة مثـل: فلسـفة اللغـة، فلسـفة المنطـق، فلسـفة العقـل، فلسـفة الأخـلاق، فلسـفة العلـم، فلسـفة الفـنّ، فلسـفة الديـن، فلسـفة الرياضيّـات، نظريّـة المعرفـة وغيرهـا مـن المجـالات. وهٰـذا إن دلّ على شيءٍ فإنّمـا يـدلّ على

مـدى تأثـير المدرسـة التحليليّـة في كثـيرٍ مـن المجـالات المعرفيّـة مـن جانـبٍ، وصعوبـة تعريـف الفلسـفة التحليليّـة مـن جانـبٍ آخـر.

5 ـ روّاد الفلسفة التحليليّة

بعـد اسـتعراض بعـض الخصائـص العامّـة للمدرسـة التحليليّـة وبيان المسـائل المطروحـة فيهـا، ينبـغي هنـا أن نشـير إلى أهـمّ روّاد الفلسـفة التحليليّـة ونذكـر نبـذةً مختـصرةً مـن أفكارهـم ونظريّاتهـم:

أ ـ جوتلوب فريجه (1848-Gottlob Frege) (1925)

ليـس مـن البعيـد أن نـدّعي أنّ مـن أهـمّ المؤسّسـين والمبدعـين في الفلسـفة التحليليّـة هـو العالـم الريـاضيّ الشـهير والفيلسـوف الألمـانيّ جوتلـوب فريجـه. فهـو أوّل مفكّـرٍ فتـح بحثًـا منظّمًـا وعميقًـا حـول "اللغـة" وقابليّاتهـا وطاقاتهـا الأساسـيّة الفلسـفيّة، وإن كان اختصاصـه الأصـليّ واهتمامـه الرئيـسيّ هـو الرياضيّـات، ولٰكـن مـن خلال دراسـته الجامعيّـة تعـرّف على آراء كانـط وبـدأ يهتـمّ بالتأمّـلات الفلسـفيّة.

لقـد ركّـز فريجـه على المبـادئ الأساسـيّة لعلـم الرياضيّـات، وحقيقـة القضايـا الرياضيّـة وأحكامهـا، ولا يخـفى أنّ تحليـل مبـادئ القضايـا الرياضيّـة يعـدّ مـن سـنخ التأمّـلات الفلسـفيّة الّـتي تسـبر غـور المبـادئ والأسـس المعرفيّـة للعلـوم. لقـد أثّـر فريجـه في آراء الفلاسـفة الّذيـن جـاءوا بعـده، خاصّـةً على أفـكار بيرتراند راسـل (1872 -1970)

وفيتغنشتاين في كتاباته المتقدّمة بحيث أدّى إلى إنتاج آراء ونظريّات بديعةٍ حول حقيقة "المعنى" (meaning) والأبحاث المهمّة في الميتافيزيقيا.

كان الهاجس الأصليّ لعلماء الرياضيّات خاصّةً فريجه هو مبحث "التحليل العدديّ" (Numerical Analysis)[1]، وإبداع مبادئ منسجمةٍ بريئةٍ من التناقض فيه. لقد منح مبحث «التحليل العدديّ" قوّةً عظيمةً لعلماء الرياضيّات والفيزياء في حلّ المسائل المختلفة واكتساب نتائج بديعةٍ. إن تطوّر المناهج المختلفة في علم الرياضيّات وتأثيرها البالغ في كثيرٍ من المباحث الفيزيائيّة مثل بحوث الغازات والحرارة والكهرباء والمغناطيسيّة، سبّب مقارباتٍ وعلاقاتٍ عميقةً بين الرياضيّات من جهةٍ وبين الحقيقة والواقع من جهةٍ أخرى.

في أواخر القرن التاسع عشر هناك كان محوران أساسيّان يتابعهما علماء الرياضيّات خاصّةً فريجه:

الأوّل: وجود أدلّةٍ رصينةٍ ومتينةٍ تدلّ على النقصان والخلل الكامن في القياس المنطقيّ الأرسطيّ في تبيين البِنية المنطقيّة للأحكام والاستنتاجات المعتبرة.

(1) التحليل العدديّ هو دراسة الخوارزميّات الّتي تستخدم التقريب العدديّ لمشاكل التحليل الرياضيّ (على خلاف الرياضيّات المنفصلة). من الطبيعيّ أن يجد التحليل الرقميّ تطبيقًا في جميع مجالات الهندسة والعلوم الفيزيائيّة، ولٰكن في القرن الحادي والعشرين أيضًا تبنّت علوم الحياة والعلوم الاجتماعيّة والطبّ والأعمال التجاريّة وحتّى الفنون عناصر من الحسابات العلميّة. لقد أحدث نموّ قوة الحاسوب ثورةً في استخدام النماذج الرياضيّة الواقعيّة في العلوم والهندسة، ويلزم إجراء تحليلٍ عدديٍّ دقيقٍ لتنفيذ هٰذه النماذج التفصيليّة في العالم.

والثـاني يتعلّـق باللغـة الرمزيـة في علـم الرياضيّـات، وأنّهـا هي الّـتي تعـيّن نـوعَ علاقـة المنطـق بالرياضيّـات. لقـد توصّـل فريجـه وراسـل إلى نتيجـةٍ واحـدةٍ، وهي أنّ الرياضيّـات عـين المنطـق؛ ولهٰـذه الجملـة تعنث: أوّلًا: أنّ الأصـول الموضوعـة في الرياضيّـات والنظريّـات المطروحـة فيهـا يكشـف عـن الحقائـق والواقعيّـات. وثانيًـا: أنّ حقائـق الرياضيّـات هي نفـس الحقائـق المنطقيّـة. لهٰـذا الـرأي حـول علاقـة الرياضيّـات والمنطـق اشـتهر بنظريّـة "المَنْطِقانِيَّـة" (Logicism). يـرى فريجـه بـأنّ دراسـة «لغـة الحقيقـة» لكشـف مغـزى الحقيقـة أمـرٌ ضروريٌّ. مـن جهـةٍ أخـرى أنّ معرفـة لغـة الحقيقـة لا تتيسّـر إلّا مـن خـلال "البِنيـة المنطقيّـة للّغـة". بـدأ فريجـه نشـاطه الفكـريّ مـن تحليـل اللغـة الرياضيّـة أو تحليـل البِنيـة الكامنـة وراء اللغـة الرمزيّـة الرياضيّـة. [انظر: مقالـة : گوتلـوب فرگـه و تحليـل منطقـی زبـان"، ضيـاء موحـد، مجلّـه ارغنـون، شـماره 7 و8، ص 69]

حـاول فريجـه ـ تبعًـا لغاليلـو (Galileo Galilei) ونيوتـن (Isaac Newton) إحـلال "لغـة الرياضيّـات" محـلّ اللغـة العاديّـة. وركّـز على أنّ لغـة الحقيقة هي لغـة الرياضيّـات وهي لغـةٌ جديـدةٌ رمزيّـةٌ. بعبـارةٍ أخـرى سـعى فريجه أن يـروّج الاتّجـاه المنطـقيّ (المَنْطِقانِيَّـة) في علـم الرياضيّـات، ثـمّ التفت إلى أنّ المنطـق الأرسـطيّ قـاصرٌ وعاجـزٌ عـن القيـام بهٰـذه المهمّـة؛ لذا قرّر أن يبـدّل علـم المنطـق ويجعلـه في قالـب اللغـة الرمزيّـة الرياضيّـة. ومـن هنـا تكـوّن المنطـق الحديـث أو المنطـق الريـاضيّ. يهـدف فريجـه مـن إبـداع المنطـق الحديـث أو المنطـق الرمـزيّ (Symbolic Logic) إلى أن يمـيّز

بين البُعد النحويّ والبُعد المنطقيّ في اللغة، وهٰذا يوجب اجتناب المغالطات الفلسفيّة، ويتّضح الفرق بين الكلام (القول) والمنطق.

الجدير بالذكر هو: أنّه فريجه ركّز ـ في كتابه "المفهوميّة" (Begriffsschrift) الّذي دافع فيه عن المنطق الرمزيّ ـ على عينيّة المعنى، وأنّ معنى الكلمات هي الأشياء الخارجيّة الجزئيّة المحسوسة وليس "المعنى" من سنخ المفاهيم الذهنيّة، وهو متأثّرٌ في هٰذا الرأي بالمدرسة الاسمانيّة (Nominalism) الّتي تنكر المفاهيم الكلّيّة. وأيضًا ركّز فريجه على أنّ معنى اللفظ يتبيّن من خلال سياق الجملة ومتنها، ونفى نظريّة المطابقة في صدق القضايا.

يرى فريجه بأنّ المعرفة الحقيقيّة هي المعرفة الشاملة العينيّة، بمعنى أنّ المعرفة يجب أن تحظى بخصلتين: الأولى يقدر عامّة الناس على فهمها وإدراكها على السواء، والثانية أنّ هٰذه المعرفة يجب أن تكون عينيّةً قابلةً للإثبات والبيان لجميع الناس. يرى فريجه أنّ المصداق الأتمّ لهٰذه المعرفة العينيّة هو علم "الرياضيّات" الّذي يُثبت النتائج بصورةٍ عينيّةٍ يقينيّةٍ وهو قابل للإثبات لعموم الناس. فكلّ معرفةٍ حقيقيّةٍ تتضمّن حكمًا عينيًّا عامًّا. ولٰكن ما معيار وملاك الحكم العينيّ القابل للفهم لعامّة الناس؟ يجيب فريجه: كلّ نشاطٍ فكريٍّ يبحث عن الحقيقة يبيّن حصيلة ما توصّل إليه من خلال الجملات والعبارات اللغويّة الخاصّة. لا يمكن دراسة هٰذا النتاج الفكريّ ونقده إلّا من خلال فهم هٰذه الجملات والعبارات الّتي تتعلّق بلغةٍ خاصّةٍ. إذن تلعب معرفة "اللغة" دورًا مهمًّا في كشف

الحقيقة؛ لأنّ اللغة تحمل المعنى وتعكسه، من جهةٍ أخرى أنّ المعنى يعكس الحقيقة. فهناك علاقةٌ وثيقةٌ بين المعنى والحقيقة بحيث لا يمكن كشف الحقيقة وفهمها إلّا عن طريق المعنى. ولٰكن ما المقصود من المعنى من وجهة نظر فريجه؟ المقصود من "المعنى" من وجهة نظر فريجه ليس المألوفَ في العرف من التصوّرات والمفاهيم الذهنيّة، بل المعنى عند فريجه حقيقةٌ موضوعيّةٌ (Objective truth)

حقيقة "المعنى" عند فريجه

من أبرز نظريّات فريجه في الفلسفة التحليليّة نظريّة «المعنى». حاول فريجه أن يبيّن الارتباط بين اللغة والواقعيّة الخارجيّة من خلال نظريّة "المعنى"، وهي عبارةٌ عن أنّ هناك بالإضافة إلى المفهوم الذهنيّ ـ الّذي يتبادر من اللفظ إلى الذهن ـ وبالإضافة إلى محكيّ الألفاظ وما بإزائها في الخارج، أمرًا ثالثًا متناظرًا إلى الألفاظ يبيّن كيفيّة حكاية الألفاظ وتعبيرها عن المحكيّ الخارجيّ، وهو «المعنى». إذن هناك أربعة عناصر في اللغة: اللفظ، المفهوم الذهنيّ، المحكيّ الخارجيّ، المعنى. يعتقد فريجه بأن "المعنى" ـ خلافًا للمفهوم ـ لا يتحقّق في الذهن، بل هو أمرٌ عينيٌّ.

بعبارةٍ أخرى يرى فريجه بأنّ الحالات والتصوّرات الذهنيّة أمورٌ فرديّةٌ شخصيّةٌ منكشفةٌ للذهن الّذي تكوّنت فيه فحسب، فلا يمكن نقلها من ذهنٍ إلى ذهنٍ آخر، بل بالنسبة إلى شخصٍ واحدٍ تختلف الصور الذهنيّة في زمانين مختلفين.

وأبـرز مصـداقٍ للحـالات الذهنيّـة هي الأحاسـيس والعواطـف والمشـاعر أو الآلام الّـتي يشـعر بهـا صاحبهـا فقـط ولا يمكـن نقلهـا للآخريـن. فيجـب أن نبحـث عـن عنـصرٍ عينـيٍّ مشـتركٍ يسـاهم فيـه جميـع الأذهـان، ويتيـسّر الوصـول إليهـا لـكلّ النـاس، ولهـذا العنـصر العينـيّ الخـارجيّ هـو "المعـنى" . يـضرب فريجه مثـالًا لبيـان علاقة "الاسـم الخـاصّ" (اللفـظ) و"المعـنى" و"المحـكي" ويقـول: حينمـا يشـاهد شـخصٌ القمـرَ عـن طريـق المقـراب؛ فـ"المحـكيّ" يكـون بمنزلـة القمر الخـارجيّ، والصـورة المرتسـمة في عدسـة المقـراب تكـون بمنزلـة "المعـنى"، و"الصورة الذهنيّـة أو المفهـوم" تكـون بمنزلـة الصـورة المنتقشـة في شـبكيّة العـين. فهنـاك واسـطتان في مشـاهدة القمـر، الأولى هي مـا وقعـت في عدسـة المقـراب، ولهـذه الصـورة مشـهودةٌ لـكلّ مـن له عـينٌ سـليمةٌ، والواسـطة الثانيـة مـا تقـع في شـبكيّة العـين وهي مختصّـةٌ بمـن يشـاهد القمـر. فالاسـم الخـاصّ مثـل "أرسـطو" مـرآةٌ للمعـنى، والمعـنى مـرآةٌ للمحـكيّ. فاللغـة تربـط بالواقـع الخـارجيّ عـن طريـق المعـنى؛ لأنّ الاسـم يعـبّر عـن المعـنى ويظهرهـا، والمعـنى هـو الّذي يحـدّد المحـكيّ. إذن "المعـنى" هـو الواسـطة بـين اللغـة والخـارج العيـنيّ.

[Dummet, M, Origins of Analytical Philosophy, P. 19]

النقد

1ـ بالنسـبة إلى مـا ادّعاه فريجـه مـن أنّ التصـوّرات والمفاهيـم الذهنيّـة أمـورٌ فرديّـةٌ قائمـةٌ بذهـنٍ خـاصٍّ لا يمكـن نقلهـا للآخريـن، نقـول: إنّه

ارتكب مغالطةً واضحةً وهي: عدم التمييز بين حيثيّتين في المفهوم الذهنيّ، إذ لا يخفى أنّ كلّ صورةٍ ذهنيّةٍ لها جهتان: جهة الاستقلال أو "ما فيه يُنظَر"، وجهة المرآتيّة والكاشفيّة عمّا وراءها أو "ما به يُنظَر"؛ فالصورة الذهنيّة من جهة الاستقلاليّة كيفٌ نفسانيٌّ قائمٌ بذهنٍ خاصٍّ، ولا يمكن نقلها إلى ذهنٍ آخر؛ لأنّها وجودٌ عَرَضيٌّ قائمٌ بنفسٍ خاصّةٍ. ولٰكن هٰذه الصورة الذهنيّة من جهة أنّها تحكي عن الواقع وتعبّر عنه، فهي وجودٌ ذهنيٌّ يمكن نقلها للآخرين، فالصورة الذهنيّة تشبه المرآة، من جهة أنّه يمكن النظر إلى المرآة من حيثيّتين: حيثيّةٍ "في نفسها" كرؤيةٍ استقلاليّةٍ كجوهرٍ خارجيٍّ تترتّب عليها آثارٌ خارجيّةٌ عينيّةٌ، ورؤيةٍ "إضافيّةٍ نسبيّةٍ" تحكي عن الواقع وتعكسه ولا تترتّب عليها الآثار الخارجيّة.

إنّ المغالطة الّتي ارتكبها فريجه هي أنه نسب حكم الجهة الأولى إلى الجهة الثانية وخلط بين الحيثيّتين، فالتصوّرات والمفاهيم الذهنيّة الّتي تختصّ بالحيثيّة الاستقلاليّة لا يمكن نقلها للآخرين، ولٰكن من الحيثيّة الثانية وهي الحكاية والتعبير عن الواقع يمكن نقل المفاهيم للآخرين، كما أنّ فريجه نقل لنا نفس هٰذه الفكرة والنظريّة من خلال المفاهيم والألفاظ الّتي استخدمها لنقل فكرته.

2 ـ يدّعي فريجه بأنّ "المعنى" حقيقةٌ عينيّةٌ يساهم فيه جميع الناس، ولٰكن أوّلًا: لا يذكر دليلًا أو شاهدًا على أنّ المعنى حقيقةٌ عينيّةٌ خارجيّةٌ! وهٰذا ادّعاءٌ بلا دليلٍ. ثانيًا: عندما نراجع الفهم

العــرفيّ لا نــدرك ســوى: اللفــظ، والمفهــوم الذهــنيّ لذٰلــك اللفــظ، والمحــكيّ أو المطابَـق الخـارجيّ، عـل سـبيل المثـال: هنـاك لفـظ "النـار"، ومفهــوم النــار في الذهــن، ونــارٌ خارجيّــةٌ. أيــن معناهــا الخــارجيّ كمــا يــدّعي فريجــه؟!

3ـ سـلّمنا أنّ هنـاك عنـصرًا رابعًـا بجانـب "اللفـظ" و"التصـور الذهـنيّ والمحـكيّ الخـارجيّ"، و"المعـنى"، ولٰكـن لـم يوضّـح لنـا فريجـه كيفيّـةَ الربـط والعلاقـة بـين المعـنى والمحـكيّ؟! إذا كان المعـنى أمـرًا عينيًّـا في الخـارج، وأيضًـا المحـكيّ حقيقـةٌ عينيّـةٌ خارجيّـةٌ، فكيـف يرتبـط المعـنى بالمحـكيّ؟ ومـا العلاقـة بينهمـا؟ وهٰـذه نقطـةٌ مبهمـةٌ في هٰـذه النظريّـة، يجـب تسـليط الضـوء عليهـا.

ب ـ بيرتراند راسل (1872-1970) (Bertrand Russell)

اعتمــد راســل على منهــج "التحليــل المنطــقيّ" (logical analysis) في الفلســفة التحليليّــة وقــام بإشــاعته. لقــد مــيّز راســل بــين الصياغــة النحويّــة للعبــارة وبــين الصياغــة المنطقيّــة فيهــا، وبــيّن أنّ مهمّــة التحليـل المنطـقيّ هي الاجتيـاز والعبـور مـن المسـتوى النحـويّ والوصـول إلى المسـتوى المنطـقيّ. اسـتخدم راسـل آليّـة "المنطـق الريـاضيّ" لتحليـل البِنيــة اللغويّــة.

[Berterand Russell, Logical atomism, p.10]

يصـف راسـل منهجيّتـه التحليليّـة بهٰـذا النحـو: «إنّ منهـجي الثابت هــو أن أبــدأ عمــلي مــن مواجهــة ظاهــرةٍ معقّــدةٍ غامضــةٍ محــيِّرةٍ مثــل

"اللغز"، وهٰذا يشبه مشاهدة ظاهرةٍ محسوسةٍ بالعين المجرّدة تارةً، ثمّ مشاهدتها بالمرصد (Telescope). وقد وجدت أنّ هناك ميزاتٍ وفروقًا تظهر وتنكشف من خلال التركيز والتدقيق في الأمور، لم تكن مكشوفة في بداية الأمر. كما يمكن لنا مشاهدة الذرّات من خلال المجهر والحال أنّنا لم نكن نقدر على مشاهدتها بدونه» [Ibid].

حاول راسل أن يؤصّل لعلم الرياضيّات أسسًا منطقيّةً يقينيّةً، وقد أدرك أنّ الرياضيّات تنبثق من أصولٍ منطقيّةٍ رصينةٍ، وقد دوّن ـ بمساعدة الأستاذ المشهور في الرياضيّات "آلفرد نورث وايتهد" (Alfred North Whitehead) ـ كتاب "أصول الرياضيّات"، وهٰذا الكتاب سجّل اسم راسل في قائمة المؤسّسين للمنطق الحديث الّذي يحظى بلغةٍ رمزيّةٍ صوريّةٍ. فقد ادّعى راسل بأنّه يمكن بيان القضايا الرياضيّة بلغة المنطق، ويمكن استنتاجها في ضوء الأصول المنطقيّة. لقد حاول راسل أن يكتشف بعضَ الأخطاء المنطقيّة الكامنة في النظريّات الفلسفيّة والمتافيزيقيّة، ويصحّحها من خلال المنهج التحليليّ المنطقيّ. بناءً على نظريّة راسل الأداةُ والوسيلة الرئيسة لتحليل الفلسفة هي "المنطق الرياضيّ".

جـ ـ جورج إدوارد مور (George Edward Moore) (1873 - 1958)

لقد شاهد مور أنّ النظريّات الفلسفيّة الّتي يُدّعى أنّها كاشفةٌ عن الحقيقة غامضةٌ ومبهمةٌ ومعقّدةٌ، فليست لغتها لغةً سلسةً سهلةً مبسّطةً. فقد حاول مور أن يحلّ هٰذه المشكلة عن طريق كشف

جذورهـا ورفعهـا. فقـد اعتقـد مـور أنّ المشـكلة تكمـن في عـدم الوضـوح والشـفافيّة في طـرح السـؤال الّذي تنشـأ منـه المسـائل الفلسـفيّة وعـدم إيضـاح مقصـود الفيلسـوف منـه، فـإذا كان السـؤال الأصـليّ في كلّ موضوعٍ فلسـفيٍّ مبهمًـا وغـيرَ محـدّدٍ بالضبـط، فهٰـذا يوجـب تعـدّد التفاسـير والاسـتنتاجات وبالنتيجـة يسـتلزم إجابـاتٍ متعـدّدةً. فمـن وجهـة نظـر مـور أنّ إزالـة غبـار الإبهـام والغمـوض والتعقيـد والالتبـاس مـن الأسـئلة الأساسـيّة وإعادة النظـر في كيفيّـة طـرح الأسـئلة والأجوبـة هي الوظيفـة الرئيسـة للفلسـفة. يعتقـد مـور بأنّـه بـذل جهـوده في حـلّ مسـألتين:

1ـ ما مقصود الفيلسوف من نظريّته وفكرته؟

2ـ ما الأدلة المقنعة لتمييز صدق نظريّته وكذبها؟

[P.A Schilpp (ad), The Philosophy of G.E. Moore, The library of Living philosophers, V.4]

يـرى مـور بـأنّ الاسـتعمال الخاطـئ للّغـة في الفلسـفة هـو منشـأ ظهـور المسـائل الفلسـفيّة، والحـلّ الوحيـد لهٰـذه المسـائل هـو اسـتبدال الاسـتعمال الصحيـح بالاسـتعمال الخاطـئ في اللغـة، وتعريـف المفاهيـم وإيضاحهـا بصـورةٍ دقيقـةٍ وشـفّافةٍ حـتّى لا يتحـيّر القـارئ في فهمهـا. فـإذن الاسـتخدام الصحيـح والصائـب للّغـة وتبيـين المفاهيـم الغامضـة وتعريفهـا هـو الحـلّ الفريـد للمسـائل الفلسـفيّة.

يعتقـد مـور بـأنّ الصـور المنطقيّـة البسـيطة تعـبّر عـن الأمـور الواقعيّة (facts) الموجـودة في العالَـم. تتحقّـق هٰـذه العمليّـة مـن خـلال اسـتبدال

العبارت المعقّدة المركّبة بالعبارات البسيطة الجزئيّة مع توصيفٍ معيّنٍ للهويّات الجزئيّة البسيطة الّتي تُكوِّن الأمور المعقّدة المركّبة.

اعتمد جورج مور على منهج التحليل أو "التحليل المفاهيميّ" (Conceptual analysis)، والغرض من التحليل هو تجريد المفاهيم من الإبهام والغموض والتشويش والتعقيد. يرى مور أنّ هناك علاقةً وثيقةً بين الحقيقة والمفاهيم، فلا يمكن نيل الحقيقة إلّا من خلال المفاهيم الصحيحة المنقّحة. من جهةٍ أخرى أنّ المفاهيم تُعبَّر من خلال الألفاظ والعبارات اللغويّة، ومن هنا يتبيّن ارتباط اللغة بالحقيقة؛ لأنّ اللغة مرآةٌ للمفاهيم، والمفاهيم مرآةٌ للحقيقة، فالألفاظ والعبارات مرآةٌ للحقيقة. بعبارةٍ أخرى أنّ اللغة هي الّتي تربط المفهوم بالحقيقة، فلا يمكن الوصول إلى الحقيقة إلّا من خلال اللغة. يؤكّد مور على أنّ الألفاظ والعبارات لا تعبّر عن الحقيقة إلّا بعد إيضاحها وتحليلها وتعريفها ورفع الغموض والإبهام عنها، وهٰذا هو الاستخدام الصحيح للّغة في الفلسفة. [Ibid]

هٰذه المنهجيّة الخاصّة في تحليل المفاهيم والعبارات وتعريفها عبارةٌ عن طرح هٰذه الأسئلة:

ما هي الأجزاء المؤلِّفة لمعنى x؟ هل هو معنًى بسيطٌ غير قابلٍ للتجزئة؟ كيف يرتبط مفهومٌ بسائر المفاهيم؟ ما هي العلاقة القائمة بين المفاهيم؟ يحاول مور أن يبيّن العلاقات والروابط الموجودة بين العبارات، فهو بصدد بيان أنّ عبارة x نتيجةٌ لجملةٍ وعبارةٍ أخرى،

أو تلك الجملة تُعدّ افتراضًا مسبقًا لجملةٍ أخرى، أو هٰذه الجملة نقيض تلك الجملة. فيقوم مور بتحليل البِنية الكامنة وراء الكلمات والعبارات، وهٰذه البِنية المستورة هي الّتي تمنح المعنى للكلمات، فالغرض من التحليل هو بيان هٰذه البِنية المكنونة في الجملات والعبارات وإظهارها.

لقد وظّف مور هٰذه المنهجيّة في كثيرٍ من الحقول المعرفيّة مثل المباحث الوجوديّة والأخلاقيّة والفنّيّة والاجتماعيّة وغيرها.

[انظر: محمد مدين، جورج إدوارد مور بحث في منطق التصورات الاخلاقية، ص 245؛ محمد مهران رشوان، الفلسفة الحديثة المعاصرة، ص 169]

د ـ لودفيغ فيتغنشتاين (Ludwig Wittgenstein) (1889- 1951)

يمكن تقسيم حياة فيتغنشتاين إلى حقبتين من الزمان: في الحقبة الأولى من عمره قد ألّف كتاب "الرسالة المنطقيّة ـ الفلسفيّة" فهو يعتقد في هٰذا الكتاب بنظريّة " الصورة للمعنى" (the picture theory of meaning)؛ بناءً على هٰذه النظريّة تعدّ اللغة انعكاس الواقع وتصويره، والوظيفة الوحيدة للّغة هي التعبير عن الواقع والحكاية عنه. بعبارةٍ أخرى أنّ القضايا الناظرة إلى العالم الواقعيّ تعطينا صورةً وانعكاسًا من العالَم والواقع، فدراسة اللغة واكتشاف البِنية اللغويّة تعكس لنا بِنية العالَم الواقعيّ؛ لأن هناك علاقةً تصويريّةً انعكاسيّةً بين اللغة والواقع؛ لذا فإنّ المعاني تتحقّق مستقلّةً عن أذهاننا والواقع الخارجيّ هو الّذي يحدّد نطاق المعنى، فالمعنى تابعٌ للواقع.

يتبنّى فيتغنشتاين في المرحلة الأولى من فكره الفلسفيّ نظريّة "الذريّة المنطقيّة" (Logical atomism) بمعنى: أنّ القضايا المركّبة تتألّف من القضايا البسيطة الأوّليّة (elementary proposition)، وأن كلّ قضيّةٍ بسيطةٍ ذرّيّةٍ تصويرٌ من الواقع الذرّيّ، فاللغة هي التابعة للواقع وتعبّر عنه وليس الأمر بالعكس.

[Wittgenstein, Tractatus Logico- Philosophicus, 4. 22]

بعبارةٍ أخرى هناك قضايا «مركّبةٌ جزيئيّةٌ" وهي في الحقيقة ترجع وتحوَّل إلى "القضايا الذرّيّة"، وإنّ القضايا المركّبة تابعةٌ للقضايا الذرّيّة البسيطة في صدقها.

أمّا في الحقبة الثانية تراجع فيتغنشتاين من "النظريّة الصورة للمعنى" وألّف كتاب "تحقيقات فلسفيّة" (philosophical Investigations) وصرّح فيه بأنّ نظريّته الأولى حول اللغة كانت خاطئةً فاستبدلها بنظريّة "الألعاب اللغويّة" (game theory of language).

نظريّة الألعاب اللغويّة (game theory of language)

يعتقد لودفيغ فيتغنشتاين (1889 ـ 1951) بأنّ لكلّ لغةٍ تطبيقًا واستعمالًا متميّزًا وفق مناحي الحياة (Form of life) أو السياق الاجتماعيّ والمناخ الفكريّ والثقافيّ الّذي يعيش فيه كلّ إنسانٍ، ويعبّر فيتغنشتاين عن تطبيق اللغة واستعمالها بـ"اللعبة اللغويّة" وأن معنى كلّ لفظٍ هو عبارةٌ عن استعماله وتطبيقه الخاصّ. [Wittgenstein, Philosophical Investigations,p. 43]

فتتعـدّد اللغـات بتعـدّد منـاحي الحيـاة وأشـكالها وسـياقاتها. بعبـارةٍ أخـرى أنّ كلّ منـحًى مـن منـاحي الحيـاة أو كلّ نمـطٍ مـن أَنماط الحيـاة والمعيشـة يقتضي لغـةً متميّزةً خاصّـةً بـه لا يعرفهـا إلّا مـن يعيـش في ذٰلـك النمط مـن الحياة، والمقصـود مـن الحيـاة هـو جميـع الآمـال والأفـكار والظـروف الّتي تحيـط الفرد الإنسـانيّ. فلـكلّ لغةٍ مـن اللغـات الدينيّـة والعلميّة والفلسـفيّة "لعبـةٌ لغويّةٌ" خاصّـةٌ، أي تطبيـقٌ واسـتعمالٌ خـاصٌّ. هٰـذه الألعـاب اللغويّـة تكشـف عن جوانـب صُـور الحيـاة وأشـكالها. فهٰـذه اللغة تعكـس واقعهـا الخـاصّ، فالعالَم الّذي يعيشـه الفيلسـوف يختلـف تمامًـا عـن العالَـم الّذي يعيشـه المتديّـن أو الفنّـان أو العالِـم التجريـبيّ أو الصـوفيّ، فمـا دمنـا لم نجـرّب حياة الفيلسـوف أو الصـوفيّ أو المتديّـن ولـم ننظـر إلى العالَـم مـن منظـاره لا نقـدر أن نفهـم لغتـه أو لعبتـه اللغويّـة. فـكلّ لغـةٍ تعكـس طريقـةً خاصّةً مـن الحيـاة والمناخ الفكـريّ، مـن جهـةٍ أخـرى كلّ طريقـةٍ ونمـطٍ خـاصٍّ مـن الحيـاة يـولِّد لعبةً لغويّـةً تخصّـه، إذن لأجـل التعـرّف على حيـاة الآخريـن يجـب أن نبحـث عن اللغـة المعـبِّرة عـن تلـك الحيـاة الخاصّـة بهـم. [انظر: لودفيـغ فتغنشـتاين، تحقيقـاتٌ فلسـفيّة، ص 117؛ زكريّـا، إبراهيـم، دراسـاتٌ في الفلسـفة المعـاصرة، ص 271.]

وقـد شـبّه فيتغنشـتاين نظريّته المسـمّاة بـ "اللعبـة اللغويّـة" بالألعاب المعهـودة والمألوفـة بـين النـاس؛ فكمـا أنّ للعبـة الشـطرنج أو كـرة السـلّة أو كـرة القـدم أو كـرة المنضـدة وغيرهـا مـن الألعـاب قواعـدَ وقوانـينَ متميّزةً تخصّهـا، فكذٰلـك بالنسـبة إلى منـاحي الحيـاة والسـياق

الاجتماعيّ والمناخ الفكريّ الّذي يعيشه الفرد؛ له قواعد وقوانين خاصّةٌ تستتبع لغةً خاصّةً تميّزها عن سائر مناحي الحياة.

[Hick, John, Philosophy of Religion, p.96]

الفرق بين فيتغنشتاين في كتاباته المتقدّمة وكتاباته المتأخّرة في مبحث "حقيقة المعنى" هو أنّه بناءً على الرأي المتقدّم، فالتصوّرات الذهنيّة وأفكارنا لا تؤثّر على الواقع، بل هي في فرض الصدق مطابقٌ للواقع وتعبّر عنه. ولٰكن بناءً على فيتغنشتاين في كتاباته المتأخّرة، تؤثّر أفكارنا وذهنيّاتنا في تكوين الواقع، وتلعب دورًا رئيسيًّا في إيجاد الواقع، فهي فعّالةٌ وليست منفعلةً؛ لذا يرى فيتغنشتاين: «أنّ الحدود اللغويّة هي الّتي تشخّص حدودَ عالمنا الواقعيّ» [Wittgenstein, Tractatus Logico - Philosophicus, 4. 22].

يعتقد فيتغنشتاين في كتاباته المتأخّرة أنّ المسائل الفلسفيّة ناجمةٌ من الاستخدامات الخاطئة للّغة.

هـ ـ رودولف كارناب (1891- 1970) (Rudolf Carnap)

لا شكّ أنّ رودلف كارناب يعدّ من الأركان الأصليّة لـ "حلقة فيينا" (Vienna Circle) ومن روّاد الفلسفة الوضعيّة (Positivism) إنّ الاتّجاه الرئيسيّ في الفلسفة التحليليّة هو المدرسة الوضعيّة، وقد تأثّر بها كثيرٌ من الفلاسفة التحليليّين، فينبغي هنا أن نسلّط الضوء على هٰذه المدرسة التجريبيّة بالاختصار:

إنّ انطلاقة الوضعيّة كانت من خلال ما يُعرف باسم "حلقة فيينا" الّتي ظهرت إلى العلن عام 1929، عندما صدر بيانٌ لها بعنوان "الفهم العلميّ للعالَم" يقوم في الأساس على استبعاد الميتافيزيقيا وإلغائها وتخليص العلوم من الشوائب الميتافيزيقيّة. إنّ المبادئ الأساسيّة للوضعيّة المنطقيّة ـ كما وردت في بيان حلقة فيينا ـ هي عبارةٌ عن:

ـ اعتماد المعطيات الحسّيّة أساسًا للمعرفة العلميّة.

ـ استبعاد الميتافيزيقيا من كلّ فرعٍ من فروع المعرفة يُراد له أن يكون علمًا.

ـ اعتماد مبدإ قابليّة التصديق أو مبدإ قابليّة الإثبات التجريبيّ (principle of verification) أساسًا لقبول الأحكام العلميّة ومعيارًا للمعنى المعرفيّ. على أساس هٰذا المبدإ لا تُقبل إلّا الكلمات الّتي تحيل إلى كياناتٍ يمكن مشاهدتها.

ـ بناء العلم الموحَّد.

ـ تحديد مهمّة الفلسفة العلميّة بتوضيح مفاهيم العلوم بواسطة منهج التحليل المنطقيّ. [وداد الحاج حسن، رودولف كارناب نهاية الوضعية المنطقيّة، ص 247]

تركّز المدرسة الوضعيّة على أنّ القضايا الواقعيّة العينيّة هي القضايا الّتي له قابليّة التحقّق والتثبّت التجريبيّ، ويمكن إقامة الشواهد

التجريبيّة لإثباتها. فكلّ قضيّةٍ لا تخضع لمبدإ قابليّة التحقّق (principle of verification) فهي فارغةٌ من المعنى (meaningless) وتُعدّ مهملةً (nonsensical)، فضلًا عن صدقها أو كذبها.

[Paul, Edwards, The Encyclopedia of Philosophy, Volumes 5 and 6, p.53]

في الحقيقة أنّ نظريّة "مبدإ قابلية التحقّق والإثبات التجريبيّ" إجابةٌ السؤال القائل: "ما الشروط والظروف الّتي تجعل الجملات والقضايا ذات معنًى صحيحٍ وواقعيٍّ؟ تجيب هٰذه النظريّة على هٰذا السؤال: أنّ معيار الدلاليّة هو إمكان إخضاع القضايا للموازين التجريبيّة وإمكان تجميع القرائن والشواهد الحسّيّة لإثبات نظريّةٍ أو تأييدها أو إبطالها.

لقد تأثّر كارناب بالآراء الخاصّة لفريجه وراسل حول المنطق الرياضيّ، وأيضًا تأثر بآراء فيتغنشتاين ونظريّاته، خاصّةً نظريّة "الألعاب اللغويّة"؛ فلذا حاول كارناب أن يخلّص المعرفة البشريّة عن الشوائب الميتافيزيقيّة ويبنيها على أساسٍ تجريبيٍّ حسّيٍّ من خلال استخدام المنطق الحديث أو المنطق الرياضيّ. [انظر:محمد مهران رشوان، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص 221]

6 ـ دراسةٌ نقديّةٌ للفلسفة التحليليّة

بعد التطرّق إلى أهم النظريّات والاتّجاهات المشهورة في الفلسفة التحليليّة ينبغي الإشارة إلى بعض الإشكاليّات الأساسيّة الّتي تعاني منها الفلسفة التحليليّة:

أ ـ هناك منهجان في كشف الواقع:

1 ـ المنهج الّذي يبحث عن الواقع والحقيقة من خلال البحث والتنقيب عن اللغة واستعمالاتها وتحليل البنية الكامنة فيها، وبيان زلّاتها ومناشئ أخطائها، ويرى أنّ الطريق الوحيد لاصطياد الواقع هو شبكات اللغة وتجريدها من الإبهام والإيهام والغموض. يحاول هٰذا المنهج التحليليّ أن يربط اللغة بالمفهوم، ثمّ يربط المفهومَ بالواقع والحقيقة. فهٰذا المنهج هو كشفٌ إنّيٌّ يحاول الوصول إلى الواقع من خلال اللغة.

2 ـ في المقابل المنهج الّذي يركّز على كشف الواقع مباشرةً من دون تدخّل اللغة فيه، ثمّ بعد اكتشاف الواقع ونيله يحاول أن يبيّنه في قالَب اللغة والألفاظ والعبارات والتعابير، وهٰذا في الحقيقة كشفٌ لميٌّ يسير من الواقع إلى اللغة، خلافًا للاتّجاه الأوّل الّذي يسير من اللغة إلى الواقع. الفرق بين المنهج الأوّل والثاني هو الإجابة على هٰذا السؤال: هل اللغة تحدّد نطاق الواقع؟ أم العكس أنّ الواقع هو الّذي يحدّد نطاق اللغة؟ المنهج الأوّل وهو الّذي تعتمد عليه المدرسة التحليليّة يرى أنّ اللغة هي مرآة الواقع وأنّها تحدّد نطاق الواقع، ولا واقع وراء نطاق اللغة. ولٰكنّ المنهج الثاني الّذي تعتمد عليه المدرسة الواقعيّة ترى أنّ الواقع هو الّذي يحدّد دائرةَ اللغة. بعبارةٍ أخرى أنّ المنهج الأوّل يركّز على أنّ الواقع تابعٌ للّغة وأنّ اللغة هي

الّتي تُنشئ الواقعَ، ولٰكنّ المنهج الثاني يرى أنّ اللغة تابعةٌ للواقع؛ لأنّه الأصل، فاللغة وسيلةٌ وآلةٌ تعبّر عن الواقع.

بناءً على هٰذا البيان دائرة الواقع أوسع وأشمل من دائرة اللغة؛ بمعنى أنّ هناك حقائق وواقعيّاتٍ لا يمكن التعبير عنها باللغة العاديّة أو غير العاديّة مثل اللغة الرياضيّة الرمزيّة. فهناك حقائق وواقعيّاتٌ يكتشفها الإنسان العارف عن طريق المعرفة الشهوديّة الحضوريّة لا يمكن أن يعبّر عنها بلغةٍ من اللغات؛ لذا يستخدم أهل المعرفة في بعض الأحيان لغة المجاز والكناية والاستعارة والتشبيه لبيان مقاصدهم.

ب ـ تعانى المدرسة التحليليّة من حيث المبادئ المعرفيّة والوجوديّة من إشكاليّاتٍ عديدةٍ؛ لقد تأثّر العديد من الاتّجاهات التحليليّة بالمدرسة الوضعيّة الّتي ترى أنّ الدلالة والمعنى رهينٌ بإخضاع القضايا لمبدإ قابليّة الإثبات التجريبيّ، وإلّا فهي مهملةٌ وفاقدةٌ للمعنى[1]، فجميع النقود الواردة على الوضعيّة واردةٌ على الفلسفة التحليليّة؛ من الإشكاليّات الواردة على الوضعيّة أنّ نظريّة "مبدإ قابليّة الإثبات التجريبيّ" لا يمكن تطبيقها على كثيرٍ من القضايا والجملات، وحتّى لا يمكن تطبيقها على نفسها؛ لأنّ نظريّة "مبدإ قابليّة الإثبات التجريبيّ" نفسها لا تخضع للتجربة الحسّيّة، ولا

(1) لقد تمّت دراسة الوضعيّة ونقدها في مقالة "لغة الدين" المنشورة في العدد السابع من مجلّة الدليل، فمن أراد التفصيل فليراجعها.

يتسنّى إثباتها من خلال الملاحظات والشواهد التجريبيّة؛ فهٰذه النظريّة تناقض ذاتها.

جـ ـ من الناحية المنهجيّة حصر المناهج الفلسفيّة في "المنهج التحليليّ" ونفي البرهان العقليّ ورفض المنطق الأرسطيّ، يُعدّ من الإشكالات الأساسيّة في الفلسفة التحليليّة؛ لأنّه لا يمكن بناء صرح المعرفة البشريّة إلّا على البدهيّات الحقيقيّة الّتي تعدّ رأس المال للمعرفة البشريّة. ومن الغريب أنّ الفلاسفة الّذين أنكروا ورفضوا المنطق الأرسطيّ اعتمدوا على القواعد المنطقيّة البرهانيّة لرفضه، أوليس هٰذا ضرب المنطق وطعنه بالمنطق؟!

د ـ التركيز المفرط على المنطق الرمزيّ (Symbolic Logic) أو المنطق الرياضيّ ـ وأنّه يمكن حلّ جميع المشاكل الفلسفيّة من خلال إحلال المنطق الرياضيّ الرمزيّ محلّ المنطق الأرسطيّ ـ يعدّ من الإشكالات الّتي تعاني منها الفلسفة التحليليّة. فإنّ هناك كثيرًا من المسائل المتافيزيقيّة الخارجة عن نطاق المنهج التجريبيّ لا يمكن حلّها من خلال المنطق الرمزيّ، وهٰذا يكشف عن قصور هٰذا المنطق الرياضيّ الرمزيّ ونقصانه في معالجة كثيرٍ من المسائل الفلسفيّة.

هـ ـ من ناحية نظريّة المعرفة ومعيار الصدق والكذب، ترفض الفلسفة التحليليّة "نظريّة المطابقة للواقع" وتركّز على نظريّة البراغماتيّة النفعيّة في صدق القضايا؛ بمعنى أنّ كلّ قضيّةٍ تنفع وتفيد

وتنتج في حياة الإنسان فهي صحيحةٌ وإلّا كاذبةٌ. تعدّ البراغماتيّة الذرائعيّة تيّارًا فكريًّا أمريكيًا بشكلٍ نموذجيٍّ، فهو يتوخّى المعرفة من زاوية فعاليّتها، لا من زاوية حقيقتها المطلقة. وترى الذرائعيّة أن الحقائق المطلقة لا وجود لها، بل لمعارف نافعةٍ أثبتتها التجربة أو تخلّت عنها. [ديلودال، جيرار، الفلسفة الأمريكيّة، ص 474] لا يخفى أنّ نظريّة البراغماتيّة النفعيّة لا تثمر إلّا النسبيّة وعدم اليقين والقطعيّة في مجال المعرفة البشريّة، وهٰذا يؤدّي إلى الفوضى المعرفيّة.

7 ـ الفلسفة التحليليّة في التراث الإسلاميّ

إن موضوع "اللغة" و"اللسان" من المواضيع الّتي تحظى بأهمّيّةٍ بالغةٍ في التراث الإسلاميّ؛ لقد ذكرت النصوص الدينيّة وظائف مهمّةٌ للّغة، وبيّنت دورها المهمّ في الكشف عن مكنونات شخصيّة الإنسان وأبعاده الوجوديّة؛ لذا ينبغي أن نسلّط الضوء على هٰذا البحث بشكلٍ مختصرٍ لنرى مكانة هٰذا الموضوع في التراث الإسلاميّ:

أ ـ أنّ من السمات والميزات الّتي يمتاز بها الإنسان عن سائر الحيوانات موضوع "اللغة" و"الذهن" والعلاقة القائمة أو التأثير المتبادل بينهما؛ لذا يقول أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: «ما الإنسان لو لا اللسان إلّا صورةٌ ممثّلةٌ أو بهيمةٌ مهملةٌ» [التميميّ الآمديّ، غرر الحكم ودرر الكلم، ص 694]. فاللسان هو إحدى الميزات الّتي يمتاز بها الإنسان عن سائر الحيوانات؛ لذا يصرّح القرآن الكريم حين يعرّف حقيقة

الإنسان بالقول: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۞ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [سورة الرحمٰن: 3 و4]، يقول العلّامة الطباطبائيّ في تفسير هٰذه الآية الكريمة: «قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ البيان الكشف عن الشيء، والمراد به الكلام الكاشف عمّا في الضمير، وهو من أعجب النعم، وتعليمه للإنسان من عظيم العناية الإلٰهيّة المتعلّقة به، فليس الكلام مجرّد إيجاد صوتٍ ما باستخدام الرئة وقصبتها والحلقوم، ولا ما يحصل من التنوّع في الصوت الخارج من الحلقوم باعتماده على مخارج الحروف المختلفة في الفم. بل يجعل الإنسان بإلهامٍ باطنيٍّ من الله ـ سبحانه ـ الواحد من هٰذه الأصوات المعتمدة على مخرجٍ من مخارج الفم المسمّى حرفًا أو المركّب من عدّةٍ من الحروف علامةً مشيرةً إلى مفهومٍ من المفاهيم يمثّل به ما يغيب عن حسّ السامع وإدراكه، فيقدر به على إحضار أيّ وضعٍ من أوضاع العالم المشهود، وإن جلّ ما جلّ أو دقّ ما دقّ من موجودٍ أو معدومٍ ماضٍ أو مستقبلٍ، ثمّ على إحضار أيّ وضعٍ من أوضاع المعاني غير المحسوسة الّتي ينالها الإنسان بفكره، ولا سبيل للحسّ إليها يحضرها جميعًا لسامعه ويمثّلها لحسّه كأنّه يشخّصها له بأعيانها. ولا يتمّ للإنسان اجتماعه المدنيّ ولا تقدّم في حياته هٰذا التقدّم الباهر إلّا بتنبّهه لوضع الكلام، وفتحه بذٰلك باب التفهيم والتفهّم، ولولا ذٰلك لكان هو والحيوان العجم سواءً في جمود الحياة وركودها.

ومن أقوى الدليل على أنّ اهتداء الإنسان إلى البيان بإلهامٍ إلٰهيٍّ

له أصلٌ في التكوين اختلاف اللغات باختلاف الأمم والطوائف في الخصائص الروحيّة والأخلاق النفسانيّة، وبحسب اختلاف المناطق الطبيعيّة الّتي يعيشون فيها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [سورة الروم: 22] ... وبالجملة البيان من أعظم النعم والآلاء الربّانيّة الّتي تحفظ لنوع الإنسان موقفه الإنسانيّ وتهديه إلى كلّ خيرٍ» [الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج 19، ص 95] لذا قال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: « اللسان ميزان الإنسان» [التميميّ الآمديّ، غرر الحكم ودرر الكلم، ص 69].

ب- أنّ هناك علاقةً وثيقةً بين الكلام واللسان وبين شخصيّة الإنسان وهويّته وذهنه؛ يقول أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: «تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ» [نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم 382]، كأنّ شخصية الإنسان وهويّته مستورةٌ تحت لسانه، والكلام يميط اللثام عنها. وأيضًا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ» [المصدر السابق، رقم 22]، ويقول أيضًا: «رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ» [المصدر السابق، رقم 292].

وقال عليه السلام أيضًا: «الْإِنْسَانُ لُبُّهُ لِسَانُه» [المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 75، ص 56]، وقال: «كَلَامُ الرَّجُلِ مِيزَانُ عَقْلِه» [التميميّ الآمديّ، غرر الحكم ودرر الكلم، ص 538]، وقوله عليه السلام: «اللِّسَانُ تَرْجُمَانُ الْجَنَان» [المصدر السابق، ص 27]، وقال عليه السلام: «الْأَلْسُنُ تُتَرْجِمُ عَمَّا تَجُنُّهُ الضَّمَائِرِ» [المصدر السابق، ص 362]،

وقال عليه السلام: «يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ كُلِّ امْرِئٍ بِمَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ» [المصدر السابق، ص 799]، وقال عليه السلام: «لِسَانُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِك» [المجلسيّ، بحار الأنوار، ج 74، ص 231].

وقوله عليه السلام: «إِيَّاكَ وَالْكَلَامَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ طَرِيقَتَهُ وَلَا تَعْلَمُ حَقِيقَتَهُ؛ فَإِنَّ قَوْلَكَ يَدُلُّ عَلَى عَقْلِكَ، وَعِبَارَتَكَ تُنْبِئُ عَنْ مَعْرِفَتِكَ، فَتَوَقَّ مِنْ طُولِ لِسَانِكَ مَا أَمِنْتَهُ، وَاخْتَصِرْ مِنْ كَلَامِكَ مَا اسْتَحْسَنْتَهُ، فَإِنَّهُ بِكَ أَجْمَلُ وَعَلَى فَضْلِكَ أَدَلُّ» [التميميّ الآمديّ، غرر الحكم ودرر الكلم، ص 174]، وقوله عليه السلام: «الْجَمَالُ فِي اللِّسَانِ، وَالْكَمَالُ فِي الْعَقْلِ» [المجلسيّ، بحار الأنوار، ج1، ص 96]، وقوله عليه السلام: «لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِه» [نهج البلاغة، الكلمات القصار 40]، وعن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: «قَلْبُ الْأَحْمَقِ فِي فَمِهِ، وَفَمُ الْحَكِيمِ فِي قَلْبِه» [الحرّاني، تحف العقول، ص 489]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ عَذُبَ لِسَانُهُ زَكَا عَقْلُه» [المجلسيّ، بحار الأنوار، ج75، ص 278].

من جهةٍ أخرى أنّ إصلاح اللسان يسبّب إصلاح قلب الإنسان وأعضائه وجوارحه؛ فلذا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُه».

[المصدر السابق، ج68، ص 292]

وقال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: «إذا أصبح ابن آدم فإنّ الأعضاء كلّها تكفّر اللسان، فتقول اتّق الله فينا، فإنّما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا» [پاينده، نهج الفصاحة، ص 189]

يستفاد من مجموعة هٰذه الروايات أنّ اللغة تحكي وتعبّر عن معرفة الإنسان وهويّته وشخصيّته ومستوى عقله وجماله. وهٰذا يعني أنّ الدور الأصليّ أو الوظيفة الرئيسة هي الحكاية والتعبير عن الواقع، اللغة تعكس الواقع، وهٰذا خلافًا للمدرسة التحليليّة الّتي تقول إنّ الواقع تابعٌ للّغة وإنّ اللغة تحدّد نطاق الواقع.

الجدير بالذكر أنّ اللسان له وظائف عديدةٌ من منظار النصوص الدينيّة صّرح بها أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام في كلامٍ قيّمٍ: «أَيُّهَا النَّاسُ فِي الْإِنْسَانِ عَشْرُ خِصَالٍ يُظْهِرُهَا لِسَانُهُ: شَاهِدٌ يُخْبِرُ عَنِ الضَّمِيرِ، حَاكِمٌ يَفْصِلُ بَيْنَ الْخِطَابِ، وَنَاطِقٌ يُرَدُّ بِهِ الْجَوَابُ، وَشَافِعٌ يُدْرَكُ بِهِ الْحَاجَةُ، وَوَاصِفٌ يُعْرَفُ بِهِ الْأَشْيَاءُ، وَأَمِيرٌ يَأْمُرُ بِالْحَسَنِ، وَوَاعِظٌ يَنْهَى عَنِ الْقَبِيحِ، وَمُعَزٍّ تُسَكَّنُ بِهِ الْأَحْزَانُ، وَحَاضِرٌ تُجْلَى بِهِ الضَّغَائِنُ، وَمُونِقٌ تَلْتَذُّ بِهِ الْأَسْمَاعُ» [الكليني، أصول الكافي، ج 8، ص 18]. بعض هٰذه الوظائف والآثار القيّمة للّسان لم يتطرّق إليها أحدٌ من الفلاسفة التحليليّين، ولم يخطر ببالهم قطّ، وهٰذا من مناهل علومهم الإلٰهيّة.

هٰذا من جهة النصوص الدينيّة، وأمّا من ناحية التراث المعرفيّ بين علماء المسلمين، فلقد اهتمّ علماء أصول الفقه بموضوع اللغة وعلاقتها بالمعنى والواقع اهتمامًا بالغًا. ومن القواسم المشتركة في الفلسفة التحليليّة وعلم أصول الفقه مبحث "الوضع والاستعمال والتمييز بين أنواع الدلالة وعلائم الحقيقة والمجاز، وهل استعمال اللفظ يتبع الإرادة؟" وغيرها من المباحث المشتركة بينهما.

فالدراسة المقارنة بين التراث التحليليّ الغربيّ وبين التراث الإسلاميّ حول اللغة ووظائفها وأحكامها تحتاج إلى دراسةٍ مستقلّةٍ تستوعب جميع أبعاد الموضوع.

من الناحية المنهجيّة أيضًا يعتمد علماء الأصول على هٰذا المنهج التحليليّ وإيضاح المفاهيم وإماطة اللثام عن إبهام الألفاظ والعبارات في كثيرٍ من الموارد، كما قد ركّز على هٰذا المنهج التحليليّ "جورج إدوارد مور"؛ على سبيل المثال في مبحث "المشتقّ" وهل أنّه بسيط أو مركّبٌ يقول الأصوليّون: «والتحقيق أنّ التحليل العقليّ يستعمل في مقامين، أحدهما: تحليل حقيقة المعنى لكشف ذاته وذاتيّاته، وهو غير مرادٍ في المقام؛ لعدم اختصاصه بالمشتقّ، بل يشمل الجوامد، وثانيهما: تحليل المفهوم من حيث كونه مدلولًا للكلام، فهو تحليلٌ مفهوميٌّ في دلالة اللفظ على المعنى، لا تحليلٌ للحقيقة والذات» [الجزايري، تحرير الأصول، ص 277].

8 ـ دور الفلسفة التحليليّة وأثرها على المعرفة الدينيّة

يمكن أن ندرس تأثير الفلسفة التحليليّة على المعرفة الدينيّة على ثلاثة مستويات:

أ ـ تأثير الفلسفة التحليليّة على مستوى مبادئ المعرفة الدينيّة.

ب ـ تأثير الفلسفة التحليليّة على مستوى مناهج المعرفة الدينيّة.

جـ ـ تأثير الفلسفة التحليليّة على مستوى الآثار والنتائج.

أ ـ تأثير الفلسفة التحليليّة على مستوى المبادئ

يمكن دراسة تأثير الفلسفة التحليليّة على مبادئ وأسس المعرفة الدينيّة من جهاتٍ: من ناحية المبادئ المعرفيّة، ومن ناحية المبادئ الوجوديّة، ومن ناحية المبادئ الأنثروبلوجيّة:

1ـ المبادئ المعرفيّة: لقد امتزجت روح الفلسفة التحليليّة بالمنهج التجريبيّ الحسّيّ، ولا يخفى أنّ المدرسة التجريبيّة تعتمد على المعطيات الحسّيّة فحسب. إنّ الفلسفة البريطانيّة فلسفةٌ حسّيّةٌ تجريبيّةٌ، وقد نشأ فيها أمثال جون لوك (John Locke) وبيركلي (George Berkeley) وهيوم (David Hume) وجون ستيوارت مل (John Stuart Mill) وغيرهم من أتباع المدرسة التجريبيّة. من جملة الفلاسفة البريطانيّين جورج إدوارد مور وبيرتراند راسل ـ وهما من خرّيجي جامعة كمبريج ـ وكانا قد تصدّيا للتيّار المثاليّ المضادّ للاتّجاه التجريبيّ الحسّيّ. بناءً على المدرسة التجريبيّة لا يمكن الاعتماد على المعطيات القبليّة ـ كالبدهيّات واستنتاج القضايا من الأصول البدهيّة ـ لكشف الواقع في العالم، بل الطريق الوحيد له هو الاعتماد على المعطيات البعديّة مثل المحسوسات والمشاهدات الحسّيّة والأمور الخاضعة للتجربة الحسّيّة.

لذا نرى أنّ الاتّجاه العامّ في الفلسفة التحليليّة هو الدفاع عن الاسمانيّة (Nominalism). إنّ التركيز على مذهب الاسمانيّة أو الاسميّة، بمعنى نفي الكلّيّات وإنكار المعاني المجرّدة، وأنّ كلّ الأسماء تقوم مقام الصور الجزئيّة، فالمعنى الكلّيّ عند المدرسة الحسّيّة من صنع الذهن لا يقابله في الخارج صورةٌ ثابتةٌ. [يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص54 و147]

2 ـ المبادئ الوجوديّة: بناءً على الفلسفة التحليليّة أن القضايا الدينيّة أو التعاليم الاعتقاديّة ـ مثل القضايا الّتي تدلّ على وجود الله تعالى ووجود الروح وحياة الإنسان بعد الموت ـ لا تعبّر عن الواقع ولا تحكي عنه، ولٰكن مع ذٰلك يوصى الفلاسفة التحليليّون بالالتزام بهٰذه القضايا المتافيزيقيّة والتعاليم الدينيّة؛ لأنّ هٰذه القضايا الدينيّة رغم أنّها غير واقعيّةٍ ولا تكشف عن الواقع، ولٰكنّها نافعةٌ ومفيدةٌ ومنتجةٌ في مقام العمل، وليس هٰذا إلّا الرؤية البراغماتيّة النفعيّة إلى التعاليم الدينيّة. [محمد مهران رشوان، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ص 43]. قد روّج هٰذه الفكرة تلميذ فيتغنشتاين ديوي زيفانيا فيليبس (Dewi Zephaniah Phillips). إنّ هٰذه الرؤية النفعيّة غير الواقعيّة إلى المعرفة الدينيّة لا تنتج إلّا النسبيّة والفوضى فيها.

3 ـ المبادئ الأنثروبولوجيّة: لقد تركت المذهب الفيزيائيّ (Physicalism) من الناحية الأنثروبولوجيّة على فلسفة العقل آثارًا سلبيّةً على المعرفة الدينيّة. ومن الأبحاث الحديثة والمهمّة في الفلسفة التحليليّة موضوع "فلسفة العقل" أو "فلسفة الذهن" (Philosophy of mind).

إنّ السؤال عن حقيقة الذهن ووظائفه وخصائصه، وماهيّة العلاقة بين الذهن والبدن من الأسئلة الأساسيّة الّتي شغلت أذهان الفلاسفة الغربيّين في القرن الأخير. وهناك اتّجاهاتٌ ومدارس مختلفةٌ للإجابة على سؤال العلاقة بين الذهن والبدن: الاتّجاه الّذي يرفض الاثنينيّة بين الذهن والبدن ويركّز على الاتّحاد بينهما

وهـو المسـمى بالأحاديّـة (Monism)، هٰـذا الاتجـاه يشـتمل على نظريّـاتٍ مختلفـةٍ مثـل: النظريّـة الوظائفيـة (Functionalism)، ونظريّـة الوحـدة بـين الذهـن والدمـاغ، والنظريّـة السـلوكيّة (Behaviorism) ويمكـن إدراج هٰـذه النظريّـات بشـكلٍ عامٍّ تحـت عنـوان الفيزيائيّـة (Physicalism). إنّ مـن أهـمّ أدلّـة الملحديـن لنـفي الـروح المجـرّد هـو أدلّـة الفيزيائيّـة في فلسـفة العقـل، وهٰـذا ممّـا يـؤدي إلى إنـكار المعـاد وعالـم الآخـرة، بـل وإنـكار وجـود الله ﷻ. تنـدرج هٰـذه الأدلّـة تحـت عنـوان "الأدلـة الأنثروبلوجيّـة للإلحـاد". ولا يخـفى أنّ الاتّجـاه الفيزيـائيّ مـن ثمـرات المدرسـة التحليليّـة، وهـو متأثّـرٌ بمبادئهـا أشـدّ التأثّـر.

ب ـ تأثير الفلسفة التحليليّة على مستوى المنهجيّة

تنـفي الفلسـفة التحليليّـة القيمـة المعرفيّـة للمنطـق الأرسـطيّ وترفضهـا رفضًـا شـديدًا، وهٰـذا يؤثّـر على المعرفـة الدينيّـة سـلبًا؛ لأنّ القضايـا الدينيّـة والمعتقـدات الدينيّـة يتـمّ إثباتهـا عقـلًا مـن خـلال قواعـد التفكـير العقـليّ الصحيـح، ولا يضمـن ذٰلـك إلّا قواعـد المنطـق.

مـن جهـةٍ أخـرى أنّ مـن أهـم روّاد الفلسـفة التحليليّـة فريجـه وراسـل، وهمـا يرفضـان "القضيّـة الحمليّـة الكلّيّـة" ويعتقـدان بـأنّ القضيّـة الّـتي تتمتّـع بالمعـنى والدلالـة هي القضيّـة الشرطيّـة. وهٰـذا يؤثّـر على المعرفـة الدينيّـة تأثـيرًا سـلبيًا، بمعـنى أنّ إرجـاع جميـع القضايـا إلى القضيّـة الشرطيّـة يسـتلزم نـفي اليقـين والقطعيّـة والجزميّـة في القضايـا

المعرفيّة، خاصّةً في المعرفة الدينيّة. فلا يقين ولا قطعيّة بالنسبة إلى تحقّق قضية x أو عدم تحقّقه، بل هٰذا الاتّجاه يجعل القضايا بشكلٍ معلَّقٍ ومشروطٍ ولا يبدي فيها رأيًا قطعيًّا جزميًّا، على سبيل المثال: "إن كان الله موجودًا فالمعاد حقٌّ" لا تقول هٰذه الشرطيّة بقطعيّة وجود الله ـ تعالى ـ ولا وجود المعاد، بل هي قضيّةٌ معلّقةٌ غير قطعيّةٍ. هٰذا الاتّجاه المنطقيّ يترك آثارًا سلبيّةً في المعرفة الدينيّة ويخرجها عن القطعيّة واليقين.

جـ ـ تأثير الفلسفة التحليليّة على مستوى النتائج واللوازم

هناك بعض النظريّات المهمّة طرحت في الفلسفة التحليليّة تؤثّر على المعرفة الدينيّة تأثيرًا بالغًا وتستلزم لوازم خطيرةً جدًّا. من جملة هٰذه النظريّات نظريّة "الألعاب اللغويّة" لفيتغنشتاين. بناءً على نظريّة "الألعاب اللغويّة" أنّ للدين لعبةً لغويّةً خاصّةً به، وأنّ القضايا الدينيّة تتّصف بالمعنى والدلاليّة في اللعبة اللغويّة الدينيّة وفاقدةٌ لها خارج هٰذه اللعبة، فلا يمكن تقييم ونقد القضايا الدينيّة لمن هو خارجٌ عن نطاق اللعبة اللغويّة الدينيّة. وهٰذا يستلزم فصل نطاق الدين عن نطاق العلم ونطاق الفلسفة وغيرها من الحقول المعرفيّة.

من جهةٍ أخرى تستلزم نظريّة اللعبة اللغويّة النسبيّةَ (Relativism) في المعرفة ؛ فإذن ليس هناك معيارٌ خارجيٌّ مشتركٌ يقوم بتقييم مناحي الحياة وتمحيصها، بل جميع مناحي الحياة حقٌّ وصائبٌ.

يصرح فيتغنشتاين على أنّ المؤمن عندما يقول "الله موجودٌ" لا يناقض عقيدة الملحِد حينما يقول: "الله ليس بموجودٍ"؛ لأنّه ليس هناك لغةٌ مشتركةٌ أو فهمٌ مشتركٌ بينهما حتّى يكون بين عقيدتهما تناقضٌ، بل لكلّ واحدٍ منهما منحًى للحياة يختلف تمامًا عن الآخر. وليس هٰذا إلّا التورّط في ورطة النسبيّة. المشكلة الرئيسة في نظريّة الألعاب اللغويّة تكمن في أنّ القضايا الدينيّة لا تعبّر عن الواقع ولا تحكي عنه، وليس هٰذا إلّا لأجل تأثّر هٰذه النظريّة من الوضعيّة.

الخاتمة والنتيجة

1 ـ تحتوي مدرسة الفلسفة التحليليّة على اتّجاهاتٍ فكريّةٍ ومنهجيّةٍ مختلفةٍ؛ بحيث يعتقد بعض المفكّرين بأن لا جامع مشتركًا يجمع بين هٰذه الاتّجاهات المتشتّتة. ولٰكن يمكن إحصاء بعض الخصائص المشتركة لتعريف الفلسفة التحليليّة تعريفًا إجماليًّا وهي عبارةٌ عن: التركيز على منهج "التحليل المنطقيّ"، و"استخدام اللغة الرياضيّة الرمزيّة"، و"إزالة الإبهام والغموض عن اللغة العاديّة"، و"الاستخدام الصحيح للّغة"، و"بيان علاقة اللغة بالواقع"

2 ـ لقد أثّرت الفلسفة التحليليّة على كثيرٍ من الحقول المعرفيّة مثل: فلسفة اللغة، فلسفة المنطق، فلسفة العقل، فلسفة الأخلاق، فلسفة العلم، فلسفة الفنّ، فلسفة الدين، فلسفة الرياضيّات، نظريّة المعرفة وغيرها من المجالات.

3 ـ تنقسم الاتّجاهات في الفلسفة التحليليّة بشكلٍ عامٍّ إلى قسمين: الاتّجاه الّذي ينتقد اللغة العاديّة وحاول أن يستبدلها باللغة المنطقيّة الرمزيّة أو اللغة الرياضيّة؛ لأنّ اللغة العاديّة لا تعبّر عن البِنية المنطقيّة أو الخصائص المنطقيّة في اللغة. يدافع فريجه وراسل وأتباعهما عن هٰذا الاتّجاه.

الاتّجاه الثاني يركّز على إبقاء اللغة العاديّة، وليس بصدد إبداع لغةٍ رمزيّةٍ منطقيّةٍ، بل يرى أنّ المشكلة الأساسيّة تكمن في الاستخدام والاستعمال الخاطئ للّغة العاديّة، فأبدع نظريّة الألعاب اللغويّة في الفلسفة التحليليّة. يركز فيتغنشتاين في كتاباته المتأخّرة عن هٰذا الاتّجاه.

4 ـ تترك الفلسفة التحليليّة آثارًا وتداعياتٍ خطيرةً على المعرفة الدينيّة، بعض هٰذه الآثار تكون على مستوى المبادئ ـ أعني المبادئ المعرفيّة والوجوديّة والأنثروبلوجيّة ـ وبعضها على مستوى المنهجيّة، وبعضها على مستوى اللوازم والنتائج.

قائمة المصادر

1. إبراهيم، زكريّا، دراساتٌ في الفلسفة المعاصرة، مصر، دار مصر للطباعة، الطبعة الأولى، 1968 م.
2. ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، محقق / مصحح: علي أكبر غفاري، قم، جماعة المدرسين، الطبعة الثانية، 1404 هـ.
3. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1399 هـ - 1979 م.
4. افلاطون، مجموعه آثار، ترجمه محمد حسن لطفی، تهران، خوارزمی، 1375 ش.
5. پایا، علی، مقاله "فلسفه تحلیلی چیست؟"، مجله نامه مفید، شماره سوم، قم، 1377 ش.
6. پاینده، أبو القاسم، نهج الفصاحة (الكلمات القصار للنبيّ ﷺ)، طهران، دنیای دانش، الطبعة الرابعة، 1424 هـ.
7. التميمي الآمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، محقق / مصحح: السيد مهدي رجائي، قم، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1410 هـ.
8. خسروبناه، عبد الحسين، دراسة تحليليّة للمعرفة الدينيّة عند سروش، تعريب السيّدحسن على مطر الهاشمي، مركز الهدف للدراسات – قسم الترجمة، منشورات المحبّين، الطبعة الأولى، 1432 هـ.
9. ديلودال، جيرار، الفلسفة الأمريكية، ترجمة جورج كتوره، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، 2009 م.
10. راسل، برتراند، بحثٌ في المعنى والصدق، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2013 م.
11. رشوان، محمد مهران، مدين، محمد محمد، الفلسفة الحديثة المعاصرة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمّان - الأردنّ، الطبعة الأولى، 2012 م.

12. عبد اللهی، مهدی، مجله ذهن، شماره 42، تابستان 1389، مقاله "بررسی دیدگاه گوتلوب فرگه در باب معنا".

13. فِتغنشتاين، لودفيغ، تحقيقاتٌ فلسفيّة، ترجمة عبد الرزاق بنّور، بيروت، المنظّمة العربيّة للترجمة، الطبعة الأولى، 2007 م.

14. الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، محقق / مصحح: ، علي أكبر غفاري ومحمد آخوندي، طهران، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، 1407 هـ

15. المجلسي، محمدباقر بن محمدتقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، 1403 هـ.

16. مجله ارغنون، شماره 7 و8، (فلسفه تحليلی)، تهران، سازمان چاپ وانتشارات، چاپ سوم، 1390 ش.

17. مدين، محمد، جورج إدوارد مور بحث في منطق التصورات الأخلاقية، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1986 م.

18. موحد، ضياء، نقد فرگه بر پسيكولوژيسم هوسرل، نشريه فرهنگ: ويژه پديدار شناسی، شماره 11، 1371 هـ

19. الموسوي الجزائري، محمد علي، تحرير الأصول، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعه لجماعة المدرسين، الطبعة الأولى، 1430 هـ

20. يوسف كرم، بی تا، تاريخ الفلسفة الحديثة، بيروت، دار القلم.

21. Kenny, Anthony, 1995, An introduction to the founder of modern analytic philosophy Frege, New York, Penguin Books.

22. Gottlob Frege, B , "On Sense and Reference",trans . Max Black, from eds: Peter Geach & Max Black, Translations from the Philosophy Writings of Gottlob Frege, Oxford, Basil Blackwell. 1977

23. "Origins of Analytical Philosophy", Harvard, University, Press, 1994 Dummet, Michael,

24. Wittgenstein, Tractatus Logico- Philosophicus, Abhandlung, D.F. pears, BF. Mc Guinness, Routledge and Kegan Paul, London, 1961

25. Wittgenstein, Ludwig, Philosophical Investigations, trans. G. E. M. Anscombe, Oxford: Wiley-Blackwell Publishing Ltd, 2009.

26. Searle, John R., The future of philosoph, File Name: royalwrd. doc, Directory: Kermit 98, 1999.

27. Berterand Russell, Logical atomism, edited by david pears, Fontana, 1972.

28. John Hick, Philosophy of Religion, PRENTICE HALL, Englewood Cliffs, New Jersey 07632, 1990.

29. Colin, Lyas, Philosophy and Linguistics, Mac Millan St Martin,s press, 1971 ed.